التراكيب النّحويّة بيْن الشكلانيّة والوظيفيّة

إعداد

خليل غازي محمد أبو عفيفة

المشرف

الدكتور عيسى برهومة

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغويّات العربيّة

عمادة البحث العلمي والدراسات العُليا

الجامعة الهاشميّة

تمّوز ٢٠٠٤

نوقشت هذه الرّسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٥م .....

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور عيسى برهومة، رئيساً أستاذ اللّسانيات الحديثة المساعد	.....
الأستاذ الدكتور حسن الشاعر، عضواً أستاذ النّحو والصّرف	.....
الدكتورة خلود العموش، عضواً أستاذ علم اللّغة والنّحو المساعد	.....
الدكتور وليد العناتي، عضواً أستاذ اللّسانيّات الحديثة المساعد	.....

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي وأمي، رمزاً لعطائهما

وإلى إخواني وأختي الغالية، رمزاً لصحبتهم

وإلى زوجتي الحبيبة، لوفائها وإخلاصها

وإلى الابن أسامة، احتفاءً بمقدمه

رجعاً لإيقاعهم، وحفظاً لمودتهم

شكر وتقدير

أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كُلِّ مَنْ مَدّ لي يد العَوْن، وأسدى لي النُصحَ في مجال دراستي وبحثي.

أخصُّ بشكري وتقديري وامتناني، أستاذي الفاضل الدكتور عيسى برهومة، الذي أحاطني بلطفه ورعايته، ولم يأل جهداً في نُصحي وإرشادي، وفَتَحَ أمامي آفاقاً رحبة، كُلُّ فضلٍ في عملي يُنْسبُ إليه، وكُلّ تقصير مردّهِ إليّ.

والشُكْرُ موصول لأعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور حسن الشاعر، والدكتورة خلود العموش، والدكتور وليد العناتي، الّذين تفضلوا بقراءة هذا البحث، وإغنائه بالأفكار، وإفادتي بخبرتهم وعلمهم.

والله وليّ والتوفيق

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخّص باللّغة العربيّة	ز
المقدّمة	١
الفصل الأوّل: دراسة التركيب بيْن علم النّحو وعلم المعاني	٦
المبحث الأوّل: التراكيب من الوجهة النحويّة	٧
* نشأة النّحو ودواعيها	٧
* حد علم النّحو	٩
* الإعراب ونظرية العامل	١٣
* النحاة والمقام	٢٢
المبحث الثاني: التركيب في علم المعاني	٢٨
* حدّ علم المعاني	٢٨
* التراكيب العدولية ومقاصدها	٣٤
* البلاغيّون والمقام	٣٧
* العلاقة بيْن علم النّحو وعلم المعاني	٤٣
الفصل الثاني: المناهج اللسانيّة بيْن الشكلانية و الوظيفيّة	٤٨
المبحث الأوّل: الاتجاه الشكلاني:	٥٠
* المنهج الوصفي	٥٠
* مدرسة التحليل الشكلاني	٥٦
* مدرسة كوبنهاجن	٦١
* تشومسكي والنحو التوليدي التحويلي	٦٢

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: الاتجاه الوظيفي	٧٨
* مدرسة براغ	٨٠
* نظرية فيرث	٨٣
* المدرسة الفرنسيّة	٨٥
* الوظيفيّون الجدد	٨٧
الفصل الثالث: الوظيفية في الدّرس النّحوي العربي الحديث أحمد المتوكّل أنموذجاً	٨٩
المبحث الأوّل: الوظيفية عند الباحثين العرب	٩٠
المبحث الثاني: نموذج النحو الوظيفي لدى أحمد المتوكّل	٩٣
الخاتمة	١٣٧
قائمة المصادر والمراجع	١٣٨
الملخّص باللّغة الإنجليزيّة	١٥٠

ملخّص

التراكيب النّحويّة بيْن الشكلانيّة والوظيفيّة

إعداد

خليل غازي محمد أبو عفيفة

المشرف

الدكتور عيسى برهومة

اتجهت الأنظار اللّسانيّة الحديثة على تباين منطلقاتها، واختلاف توجهاتها إلى الاحتفاء بعلم التراكيب، وبين هذه الأنظار تراسلٌ بحكم القَدْر المشترك بيْن مناهج النّظر اللغويّ على اختلاف الزّمان والمكان. ولا تختلف الدّراسات اللّغويّة العربيّة عن هذه الأنظار الحديثة في مدى عنايتها بالتراكيب، فقد قَدّم النّحاة لها في إطار أهدافهم وغاياتهم، وتابعَ البلاغيّون هذا الوصف ولا سيما علماء المعاني؛ ممّا أفضى إلى نظريّة لغويّة أفاد منها المفسّرون والمُعْربون في مقاربة النّصّ القرآني وتحليله. ويسعى هذا البحث إلى دراسة نحويّة تعنى بالتركيب والتحليل، وتحفل بدلالات الجمل، كما تختصُّ ببيان المقاصد والغايات التي تصاحب الأداء انطلاقاً من المقامات التي تنجز فيها.

وتنطلق، للوصول إلى هذه الغاية، إلى استكناه ما قَدّمه النّحاة من تحليلات وممارسات تطبيقيّة، وما قَدّمه علماء المعاني من أنظار وأعمال مرتبطة بالتراكيب فَهْماً وتحليلاً وغاية، والانتفاع بما قَدّمته المدارس اللّسانيّة الحديثة باتجاهاتها الشكلانيّة والوظيفيّة، وذلك فيما يخدم البحث وغايته. وتناول البحث الوظيفيّة في الدّرس العربيّ الحديث، التي بدأت في الاتجاه الوصفي الوظيفي، ثُمّ الوظيفيّة التداوليّة متخذاً من دراسات الباحث أحمد المتوكّل أنموذجاً في تطبيق المنهج الوظيفي التداولي في اللّغة العربيّة.

وخلصت الدّراسة إلى تقديم رؤية للعلاقة بيْن علم النحو وعلم المعاني، فبعلم النّحو يتحقق فهم البنية التركيبيّة، وبعلم المعاني تتحدد أهداف التعبير والتواصل، مُؤكداً أنّها بنية ليست شكلانيّة بل هي بنية تجمع بيْن ضوابط لغويّة وأخرى غير لغويّة تحقق لها الشموليّة والتجدد. وانتهت الدّراسة إلى جملة من التّوصيات والنتائج.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد،

فلقد استحوذت دراسة التركيب على اهتمام الاتجاهات النّحويّة قديمها وحديثها، على اختلاف منطلقاتها وتوجهاتها، وفتحت مناهج الدّرس اللغويّ الحديث بما امتلكت من أدوات آفاقاً في درس العربيّة والوقوف على أسرارها، بما يدعو إلى فهم حقائق التراث العربي وأصوله وتمثّلها، وحقائق الثقافة الغربيّة وأصولها، ومن البداهة أنْ لا معاصرة دون أصالة، ولا أصالة دون معاصرة.

ويأتي هذا البحث لضرورات ومسوّغات قامت في نفس صاحبها منها أنّ دراسة شكل التركيب والوظيفة التي يؤدّيها ، والعلاقة بينهما ، ظلّت علاقة جدليّة على مرِ الزمان والمكان ، ولم تقدّم فيها الإجابات القاطعة حتى هذه اللحظة ، إضافة إلى ضرورة الاستفادة من المعطيات اللغويّة المعاصِرة في وصف تركيب اللّغة العربيّة والاستبصار بما قدّمته من رؤى وأنظار.

وينشد هذا البحث تقديمَ تصوّر واضح وشامل للعلاقة بيْن شكل التركيب ووظيفته، فلا يتوقف درس تركيب الجملة وأنماطها عند العلاقات الشكلانية، إنّما يتعدّى ذلك إلى البحث

عن المعاني التي تعبّر عنها تلك التراكيب ويسعى كذلك إلى فهْم النظرية النحوية العربيّة في سياقها ، وفي إطار غايتها ومقاصدها.

أمّا الإشكاليّة التي أثارت موضوع الدراسة ، فتكمن في وسم النحو العربي بالشكلانية المفرطة وقصره على الإعراب ، والدّعوة إلى إحيائه بدمجه بعلم المعاني الذي يمثل الجانب الوظيفي والمعنوي في التركيب.

وقد عبرت عن فكرة هذا البحث بعض المراجع العربيّة في إشارات ولمحات وسياقات متعدّدة، ومن زاوية في النظر مختلفة عما عليه في هذه الدراسة ، ولَعَلّ من أبرز هذه الدراسات:

١- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، (د.ت).

تناول الباحث اللغة العربية تناولاً شمولياً وفقاً لمستويات التحليل اللساني: الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية والدلالية، فهو يريد وصف نظام العربية من حيث هو بناء وظيفتُه الدلالةُ على المعنى. ومن أهم ما طرحه فكرةُ النظام التي هي مجموعة من المعاني، ومجموعة من المباني، والعلاقات بينهما. بالرغم من أنه يبين أنه ليس للنحو من المباني إلا ما يقدمه له علم الصرف وعلم الصوتيات. كما أنّ حصر العلاقات في إيجابية (القيم الخلافية) وسلبيّتها لا يستجيب لكل متطلبات الوصف اللغوي.

ركز الدكتور تمام حسان على المعنى، مما جعل البحث يخلو من دراسة التركيب من ناحية شكلانيّة، وبالرغم من ذلك فقد درس المعنى مستقلاً في كل نظام، دون أن يقدم رؤية جامعة لهذه الأنظمة في فهم الدلالة.

٢- **طلال وهبة وحسن الأبيض، " علم التراكيب الوظيفي: في مشكلة الحدود بين النحو وعلم المعاني"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية" ، الكويت، ع(٧٠)، ٢٠٠٠م.**

يكتفي البحث بالكشف عن حدود علم النحو وحدود علم المعاني، ويبحث في المشترك بينهما وهو (القول المفيد). وهو لا يبحث في العلاقة بين العلمين. إلا أن البحث يظلم النحو كثيراً حينما يتناول مجموعة من الآراء اعتبرها الباحثان مسلمات، ومن ذلك أن التحليل الإعرابي هدفه الأساسي فهم الأثر الذي يجلبه العامل حسب، وأن النحويين لم يهتموا مطلقاً بالمقام؛ لأنّه لا علاقه له بالأثر الإعرابي المرتبط بأواخر وحدات الكلام، وأنّ الهدف من علم النحو هو دراسة الإعراب. ومن المستغرب كذلك ما طرحه الباحثان من أنّ علم البلاغة لم يأت إلا لتسويغ وجود أنواع الإعراب.

وفي ظني أنّ الآراء السابقة بحاجة لمزيد من المراجعة والتدقيق.

٣- **عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٠م.**

حصر الباحث نفسه في أعمال الجرجاني، بالرغم من أنّ الجرجاني يعد مؤسس علم المعاني، لكنك لا تجد تحديداً مختصراً وشاملاً لهذا العلم كما قدمه مَنْ بَعده، مثل: السكاكي

والقزويني. واقتصر الباحث على عرض الآراء دون تأطير للعلاقة بين علمي النحو والمعاني.

٤- هدى سالم عبد الله آل طه، الأعراف بين علم النحو وعلم المعاني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠١.

درست الباحثة الشكلانيّة والوظيفية من منظور غربي، وربما كانت أبلغ في تحقيق أهدافها لو قامت ببيان مظاهر هذين الاتجاهين في النحو العربي. وقد أغرقت في بيان حد علم النحو وحد علم المعاني، دون أن ترسم علاقة محددة بين العِلْمَين.

وقد اعتمدت هذه الرسالة في مادتها على مجموعةٍ من المصادر والمراجع العربية المتنوعة في مادتها، فقد اشتملت على أمّهات الكتب النحوية والبلاغيّة إضافة إلى المراجع الحديثة في اللسانيّات، وأبرزت آخر التطورات في نظرية النحو الوظيفي عبر الإصدارات الحديثة للباحث المغربي أحمد المتوكّل.

أما محتويات هذه الدّراسة، فقد توزّعتْ في ثلاثة فصول، على النّحو التالي:

الفصل الأول: دراسة التركيب بين علم النّحو وعلم المعاني:

يرصد هذا الفصل للعلاقة بين علم النّحو وعلم المعاني باعتبارهما مستويين من مستويات النظام اللّغوي، مبيّناً ما يتجاذبهما من نقاط اتفاق وافتراق، واختلاف نظرة القدماء والمحدثين في توصيف العلاقة بينهما، مبرزاً في كُلٍّ من العلمين: الأهداف، والحد، والمنهج في تحليل التركيب، والاستناد إلى الأبعاد الداخلية والخارجية.

الفصل الثاني: المناهج اللّسانية بين الشكلانية والوظيفيّة:

يتناول هذا الفصل تمايز المناهج اللّسانية في إطار الشكلانية والوظيفية، وفقاً لمنطلقاتها في وصف التراكيب اللغوية، فالاتجاه الشكلاني يقصر اهتمامه على البعد الداخلي دون اعتبار البعد الخارجيّ للظاهرة اللّغوية، وفي مقابله يبرز الاتجاه الوظيفي وهو على تشعب توجهاته يرى أنّ " الأبنى اللغويّة" محكومة بوظائف اللغة التي لا تتحقق إلا في سياقات الكلام الفعلي " مستنداً" إلى البعد التداولي للغة.

الفصل الثالث: الوظيفيّة في الدّرس العربيّ الحديث، أحمد المتوكل أنموذجاً:

يقدم هذا الفصل محاولات استثمار معطيات الوظيفية عند الباحثين العرب، وقد بدأت في الاتجاه الوصفي الوظيفي عند تمام حسان وجعفر دك الباب، إلى أن تبلّرت الوظيفية التداولية على يد أحمد المتوكّل الذي اتخذه البحث أنموذجاً في بيان ملامح الأنموذج الوظيفي لديه.

وقد واكب البحث في مسيرته مجموعة من الصعوبات لَعَلّ أبرزها تأخّر الحصول على كتب الباحث أحمد المتوكّل من المغرب، بالرّغم من مراسلات عديدة واتصالات هاتفيّة، إلاّ أنّها تكللت -بفضل الله- بالنجاح ووصول الكتب التي عبّرت عن آخر التطوّرات في نظرية النحو الوظيفي بدلاً من النموذج السابق سنة ١٩٧٩م.

إنّني أرجو أن يكون هذا البحث قد حقق الغاية منه، وقدّم تصوّراً واضحاً وشاملاً للأفكار المطروحة، وأن يكون قد أسهم في تأصيل مسألة الشكل والوظيفة في النحو العربي، فإن لم يكن كذلك فعسى أن أحرز أجر الاجتهاد .

"وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب"

الفصل الأول

دراسة التركيب بين علم النحو وعلم المعاني

الفصل الأول

دراسة التركيب بين علم النحو وعلم المعاني

يهدف هذا الفصل إلى توصيف العلاقة بين علم النّحو وعلم المعاني، وبيان ما بتجاذب العلاقة بين العلمين من اتفاق وافتراق، وتراسل وتشابك، باعتبارهما مستويين من مستويات النّظام اللّغويّ، وتهدف أيضاً إلى ضبط الحدود بينهما وتصنيفهما من حيث المعنى والمبنى، وضبط النّظام ووصف المقام، والشّكل والوظيفة.

وتجتهد الدّراسة في تحقيق غايتها بالوقوف على دواعي نشأة العِلْمين وأهدافهما، وميْز حدودهما، ومنهج كُلٍّ من العلمين في تحليل التراكيب، وتناول كل منهما للأبعاد الداخلية والخارجية في وصف التركيب اللغوي وتفسيره.

المبحث الأول: التراكيب من الوجهة النحوية:

نشأة النحو ودواعيها:

اجتهد الباحثون في بيان أسباب نشأة النّحو، وقد عَزَوْها إلى أسباب دينيّة واجتماعيّة ولغويّة[1]، فقد أرادوا حفظ النّص القرآني بعد أن شاع اللّحن على ألسنة عامة القوْم، وتسرّب إلى الخاصّة منهم، علاوة على انتشار الإسلام في بقاعٍ كثيرة ممّا خلّف أوضاعاً اجتماعيّة دفعت إلى دراسة اللّغة وتحليلها، وتكوين تصوّر واضح لبنيتها وتراكيبها واستعمالاتها.

---

(١) انظر شوقي ضيف- المدارس النحوية، ص١١-١٣.

ولا بُدّ لفهم النّحو العربي في سياقه أنْ ينظر إليْه في أهدافه وبواعثه، وصولاً إلى رؤية واضحة لدوره الذي نشده علماؤنا القدامى. هذا الدّور الذي جعلهم يقيمون صَرْح النحو العربي على دراسة دور " المتلقّي " لا دور " المتكلّم "[1] فجعلوا منهج دراسة بناء الجملة ينطلق من المبنى ليصلوا إلى المعنى، من خلال استقراء كلام العرب، أي أنهم استنبطوا قواعدهم باستقراء الأداء Performance الذي يتلقاه المتلقّي.

وبالنّظر إلى بداية الجهود النحوية، يمكن تمييز اتجاهين في الدّرس النّحوي:

١. اتجاه شكلانيّ أقرب إلى المعيارية: يعنى بالتراكيب، وباطراد النظام اللغوي وفيّاً لأدوات التحليل من قياس وتعليل، ورائده عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، ومعه عيسى بن عمر.

٢. اتجاه وظيفي يميل إلى الوصفية: لا يقف عند أقيسة وقوانين مصطنعة، إنّما يأخذ بقول ابن اللغة، وقوله حجّة فوق حجة القياس والتعليل، ورائده أبو عمرو بن العلاء.

---

(١) مصطفى حميدة- نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص٢٠-٢١.

حَدُّ علم النحو:

لَعَلَّ البحث في مسألةِ الحَدّ ضرورةٌ منهجيّة لكلّ علم، من شأنها أن تساعِدَ الباحثَ على فهْمِ الحقائقِ المتّصلة بالعِلم. وقد عُنيَ النحاةُ في البحث في مسألةِ الحَدّ، ووضعت مؤلفاتٌ فيها مثل: حدود الإعراب للفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، وحَدّ الفاعل لابن كَيْسان (ت ٢٩٩هـ)، وكتاب الحدود للرماني (ت ٣٨٤هـ).

والغاية التي يسعى إليها البحث في هذا المقام، هي تمحيصُ حَدّ علم النّحو عند المحققين من النحاة، لتحديد موضع النحو بين الشكلانية والوظيفية.

النّحو في اللّغة: القَصْد والطّريق، يُقال: " نحوْتُ نحوكَ أي قصدتُ قصدك[1] أما اصطلاحاً فقد عرّفه ابنُ السرّاج (ت ٣١٦هـ) في الأصول، وابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص، وابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في شرح المفصّل، ورضيّ الدين الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) في شرح الكافية.

أمّا ابن السَرّاج فقد حَدّ علم النّحو بقوْله: "هو علمٌ استخرجَه المتقدّمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللّغة، فباستقراء كلام العرب فاعلم أنّ الفاعلَ رُفِعَ، والمفعولَ به نُصِبَ، وأنّ فَعَلَ ممّا عينُه ياء أو واو تُقْلَبُ عينه من قوْلِهم: قامَ وباعَ"[2].

---

(١) ابن منظور- لسان العرب، دار صادر، مادة ن ح و ، ص١٤.

(٢) ابن السَرّاج- الأصول في النحو، ط١، ج١، ص٣٥.

ولمّا كانت هذه القوانين مستقرأة من كلام العرب جاء " عَمَلُ النحاةِ الأوائل غير بعيد عن روح اللغة وارتباطها بالحس والنفس"[١].

ويؤكد ابن السرّاج في حدّه الغَرَضَ الذي أراده النحاة من وضع النّحو، ويجمعُ ما بين علم النّحو وعلم الصرف، في حَدٍ واحد.

أمّا ابن جنّي فقد حَدّ علم النّحو بقولِه: "انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرّفِه من إعرابٍ وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنّسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطقُ بها، وإن لم يكن منهم، وإنْ شَذّ بَعْضُهم عنها رُدّ إليها"[٢] وواضح أنّ ابن جني يقيم الحدّ على أنْ يشتمل على جميع قواعد كلام العرب.

وقد تناولَ الباحثون قدماء ومُحْدَثين حَدّ ابن جني مُحلّلين ومناقشين، قال السّيوطي (ت ٩١١هـ): " للنّحو حدود شَتّى، وألْيقها بهذا الكتاب قول ابن جنّي في " الخصائص"... لأنّه يعرّفُه بالغرضِ المنشود، وهو قَصْد الضّوابط والقواعد التي وصَفها العربُ للنّحو، والسّيْر على منوالِها، هذا إضافةً إلى أنّه لم يفصِل بيْن النّحو والصّرْف فَشَمَلَ تعريفه العلمين"[٣].

ويرى لهاد الموسى في حَدّ ابن جني عمقاً تجاوز مطلب التحويايين ليصل إلى غاية الوظيفيين، إذ يقولُ فيه: " فليس النّحو عنده مقتصراً على خطّ الأفق السطحي للتركيب،

---

(١) مازن المبارك- النحو العربي، العلة النحوية: نشأتها وتطوّرها، ص٥٧-٥٨.

(٢) ابن جني- الخصائص، ج١، ص٣٤.

(٣) السّيوطي- الاقتراح في علم أصول النّحو، ص٢٢.

بل ينتظِمُ مستويات الإعراب والتركيب والبنية مستهدفاً مُثُل المطلب الشمولي في نظريّة النّحو عند التحويليين، ذلكَ أنّ " وصف سليقة المتكلّم بلغة ما " هو الشّرط المتوحّدُ لأن " يلحقَ مَنْ ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها " بل لَعلّ تعريفَ ابن جني يجمعُ إلى جانب الدلالة على مضمون تعريف التحويليين طموحاً وظيفياً"(١).

لقد عُنيَ النّحاةُ القدماء "بدراسة القوانين التي تأتلفُ بمقتضاها الكلم لتكوين الكلام"(٢) فابن يعيش يقول في الاسم المُعْرَب: "والمراد بالمُعْرَب ما كان فيه إعرابٌ أو قابلٌ للإعراب، وليس المراد منه أن يكون فيه إعراب لا محالة، ألا ترى أنّك تقول في زيد ورجل إنّهما معربان وإنْ لم يكن فيهما في الحال إعراب؛ لأنّ الاسم إذا كان وحده مفرداً من غيرِ ضميمة إليه لم يستحق الإعراب، لأن الإعراب إنّما يؤتى للفرق بين المعاني فإذا كان وحده كان كصوتٍ تُصوِّتُ به. فإن ركّبته مع غيره تركيباً تحصل به الفائدة نحو قولك زيدٌ منطلقٌ، وقامَ بكرٌ فحينئذٍ يستحقّ الإعراب لإخبارك عنه"(٣).

ويزدادُ القارئ أُنساً في معرفة الحَدّ حينما يبيّن الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) علّة تقديم ابن الحاجب لحد الكلمة على حَدّ الكلام، يقول الرّضي: "إنّما قدّم حَدّ الكلمة على حَدّ الكلام مع أنّ المقصود الأهم من علم النّحو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب لتوقف الكلام على الكلمة توقّف المركّب على جزئه"(٤).

---

(١) نهاد الموسى- نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللغوي الحديث، ص٥٤.

(٢) عز الدين مجدوب-المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، ص١٣٥.

(٣) ابن يعيش- شرح المفصل، ج١، ص١٤٩.

(٤) الرضي- شرح كافية ابن الحاجب، ج١، ص٢٥.

إنّ الاعتمادَ على المصادر السّابقة في ضبط حَدّ علم النّحو تطمئنّ إليه النفس؛ لأنها من أمهات الكتب النحوية، وبغيرها نبتعدُ عن جادّة الصّواب " فمن ناحية منهجيّة لا يصحّ أن نناقش نظريّة ما انطلاقاً من الكتب التعليميّة"[١].

ومن هذه الشروح التعليميّة كتاب الحدود للفاكهي (ت ٩٧٢هـ) فقد بيّن أنّ عِلْمَ النّحو هو: " علم بأصول يُعْرَف بها أحوال الكلم إعراباً وبناءً[٢]ومنها حاشية الصّبّان على شرح الأشموني (ت ١٢٠٦هـ) إذ رأى أنّ النّحو "علمٌ يُبْحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً...[٣]".

إنّ الاعتمادَ على أشباه الكتب التعليمية السّابقة جعل إبراهيم مصطفى[٤] يخرج بنتائج تعوزها الدقة والموضوعية، وقد تبعه كثير من المحدثين، إذا اتجهوا إلى أن النحاة أقاموا درسهم على تغير أواخر الكلمات المفردة، ووسموا النحو بالشكلانيّة المفرطة.

وهكذا نجدُ أنّ حد النّحو في الكتب التعليميّة يختزل في أنّه " علْم أواخر الكلم"، فهو "شكلاني"، أما عند العلماء المحققين فهو " قوانين ائتلاف الكلم" وهو تعريف ينطلق من " وظيفة " وضع النحو العربي.

---

(١) عز الدين مجدوب- المنوال النحوي، ص١٢٣.

(٢) الفاكهي- شرح كتاب الحدود في النّحو، ص٤٦.

(٣) الصبّان- حاشية الصبان على شرح الأشموني.

(٤) انظر إبراهيم مصطفى- إحياء النّحو، ص٢١.

الإعراب ونظرية العامل:

١- مفهوم الإعراب:

بذل النحاة القدماء وكدهم في رسم صورة متكاملة لعلم النّحو، وقد التزمَ البحث قراءة التراث النّحوي في الأصول والمظان قراءة متأنية من أجل تمحيص مفهوم الإعراب، والوقوف على دوره في التركيب، وعلاقته بالعامل. فهل اقتصر مفهوم الإعراب على اختلاف العلامات الإعرابية داخل الجملة (جانب شكلانيّ)؟ أم أنه دال على المعنى (جانب وظيفي)؟

والإعراب لغة يعني الإبانة والإيضاح كقولهم: " أعرب عمّا في ضميرك أي أبن"[١]. أما اصطلاحاً فقد اختلف النحاة فيه، فقال المحققون من علماء النّحو إنّه "معنى"، وقال المتأخرون إنّه " لفظ "، يقول ابن يعيش: "واعلم أنهم قد اختلفوا في الإعراب ما هو. فذهب جماعة من المحققين إلى أنه معنى، قالوا وذلك اختلاف أواخر الكلم لاختلاف العوامل في أولها، نحو هذا زيد، ورأيت زيداً، ومررت بزيد، والاختلاف معنى لا محالة. وذهب قوم من المتأخرين إلى أنه الحركات نفسها وهو رأي ابن درستويه. فالإعراب عندهم لفظ لا معنى فهو عبارة عن كل حركة أو سكون يطرأ على آخر الكلمة في اللفظ يحدث بعامل ويبطل ببطلانه"[٢] أي أننا بإزاء موقفين:

---

(١) الأزهري- تهذيب اللغة، تحقيق عبد السّلام هارون، ج٢، ص٣٦٢.

(٢) ابن يعيش- شرح المفصل، ج١، ص١٩٧.

أولاً: الإقرار بدور الإعراب في أداء المعنى وتبليغه، وهو الرأي الذي ساد في كتب الأصول، وأمهات الكتب النَّحوية، وهو ما يتأكّد بالنظريّة والممارسة العمليّة للنّحاة البصريين والكوفيين معاً.

والأخبار التي نقلها الرواة حول سبب وضع النحو، تؤكد اهتمام النحو العربي بالمعنى في أصل النشأة، ومن هذه أنّ ابنة أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) قالت له ذات يوم: " يابه ما أشدُّ الحَرّ؟ فقال لها: يا بنيّ الرمضاء في الهاجره بنيّة . . فقالت له: لم أسألك عن هذا، وإنّما تعجبت من شدة الحرّ، ثم قال إنّا لله فسدت ألسنة أولادنا، وَهمَّ أن يضع كتاباً يَجْمَعُ فيه أصول العربية، فمنعه من ذلك زياد"(١).

وعمل أبي الأسود في نقط القرآن يدلُّ على أنه لم يكن " يقرأ قراءة الملقن بل قراءة الحذر الذي يفكر في العبارات ويتأمل في الظواهر المتبادلة، ويراقب تغير المدلول لتغاير التركيب"(٢).

وقد جعل سيبويه (ت ١٨٠هـ) المعنى ركيزة في تقليب وجوه الإعراب، من ذلك استدلاله على جواز رفع الاسم المشتغل عنه في مثل زيدٌ ضربته، فقال: " إذا بنيت الفعلَ على الاسم، قلت: زيدٌ ضربتُه فلزمته الهاء، وإنّما تريد بقولك: مبني عليه الفعل أنه في موضع (منطلق) إذ قلت: عبد الله منطلق، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به. فإنّما قلت: عبد الله، فنبهته له، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء"(٣).

---

(١) الزجاجي- الإيضاح في علل النّحو، ص٨٩.

(٢) محمد خير الحلواني- المفصّل في تاريخ النحو العربي، ص١٠٣.

(٣) سيبويه- الكتاب، ج١، ص٣٣٠.

وممن استدل بالمعنى الفراء الكوفيّ (ت ٢٠٧هـ) ومن ذلك ما ورد في تفسيره لقول الله تعالى " وما لنا ألا نقاتل..." [البقرة – ٢٤٦] "جاءت أن في موضع، وأسقطت من آخر، فقال في موضع آخر: " ومالكم لا تؤمنون بالله والرّسولُ يدعوكم" [الحديد-٨] وقال في موضع آخر: " وما لنا ألاّ نتوكل على الله " [إبراهيم -١٢]، فمن ألقى (أن) فالكلمة على جهة العربية التي لا علّة فيها، والفعل في موضع نصب... وأمّا إذا قال (أن) فإنه مما ذُهِبَ به إلى المعنى الذي يحتمل دخول (أن)، ألا ترى أن قولك للرجل: مالك لا تصلّي في الجماعة؟ بمعنى: ما يمنعك أن تُصلّي؟ فأدخلت (أن) في (مالَك) إذا وافق معناها معنى المنع، والدليل على ذلك قول الله – عز وجل-: " ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك " (الأعراف -١٢)، وفي موضع آخر: " مالك ألا تكون مع الساجدين " (الحجر-٣٢) ، وقصة إبليس واحدة، فقال فيها بلفظين ومعناهما واحد وإن اختلفا . . ."[١].

وجَرَّدَ المبرد (ت ٢٨٥هـ) أصلاً عاماً بقوله: "إن كل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود"[٢].

وقد أصّل النحاة القدماء لعلاقة الإعراب بالمعنى، ومنهم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) يقول: "إنّ النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني، وتُبينُ عنها، سَمّوْها إعراباً؛ أي بياناً، وكأنّ البيان بها يكون، كما يُسَمّى الشيء باسم الشيء إذا كان يشبهه أو مجاوراً له، ويسمى النحو إعراباً والإعراب نحواً ...[٣].

---

(١) الفرّاء- معاني القرآن، ج١، ص(١٦٣-١٦٥).

(٢) المبرّد- المقتضب، ج٤، ص٣١١.

(٣) الزجاجي- الإيضاح في علل النّحو، ص٩١.

وأكد ابن جني كذلك الربط بين الإعراب والمعنى في قوله عن الإعراب: " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، شكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدِهما ونصبِ الآخر الفاعلَ من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"(١).

وبيّن عبد القادر المهيري اهتداء النحاة إلى أن الإعراب عنصرٌ من عناصر النّظام العلامي في اللّغة العربيّة " فكان صاحب الخصائص باستعماله كلمة " الألفاظ " لا يفرّق بين علامات الإعراب وسائر العلامات اللغوية التي يلتحم فيها الملفوظ بالمعنى والدال بالمدلول"(٢).

وقد أشار الزجاجي من قبل إلى الاندماج بين صورة الكلمة وبنيتها، حيث يقول: "إنّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة إليها، لم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركةً جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"(٣).

ومن الأصول التي رسّخها ابن جني أن " التمسّك بصحّة المعنى يؤول لصحة الإعراب"(٤) فإذا كان " تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححّت طريق تقدير الإعراب"(٥).

---

(١) الخصائص، ج١، ص٣٦.

(٢) عبد القادر المهيري- دور الإعراب، ص٦٠.

(٣) الزجاجي- الإيضاح في علل النّحو، ص٦٩.

(٤) انظر ابن جني- الخصائص، ج١، ص(٢٨٣-٢٨٤).

(٥) المصدر نفسه- ج١، ص٢٨٤.

أما ابن يعيش فقد ألَحّ على أنّ الإعراب معنى لا لفظ في قوله عن الإعراب: " هو الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أوّلها ألا ترى أنّك لو قلت ضرب زيد عمرو بالسكون من غير إعرابه لم يُعلَم الفاعلُ من المفعول، ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب"(١).

أما الرضي فقد اعترض على حد الاسم المُعْرَب عند ابن الحاجب فالمعرَب عنده: "المركّب الذي يشبه مبنى الأصل، ويذكر الرضي في أحد وجوه الاعتراض: " إن سلّمنا أن المركّب في الظاهر هو أحد الجزأين أو الأجزاء فليس كل اسم مركّب إلى غيره مشابه لمبنى الأصل معرباً، بل الاسم إلى عامله، ألا ترى أن المضافَ اسم مركّب إلى المضاف إليه، ولا يستحقُ بهذا التركيب إعراباً بل المضاف إليه يستحقه بالتركيب الإضافي لأن المضاف عامله..." (٢).

ولَعَلّ وجه الطرافة في هذا الاعتراض هو أن الرضي يكتفي في حد الاسم المعرب بحصول تركيبه أو ائتلافه مع وحدات لغوية أخرى اعتبرها النحاة العرب عوامل، ولا يشير إلى تغيّر آخر الاسم... وإن صح هذا التأويل سقط اهتمامهم بأن عنايتهم بالإعراب فوّتت عليهم دراسة ائتلاف الكلم"(٣).

ثانياً: أما المفهوم الثاني للإعراب فهو " أثر يجلبه العامل" يقول ابن عقيل " والاسم منه معرَب ومبني لشبه من الحروف مدني يشير إلى أن الاسم ينقسمُ إلى قسمين أحدهما

---

(١) ابن يعيش- شرح المفصل، ج١، ص١٩٦.

(٢) الرضي- شرح الرضي على الكافية، ج١، ص٥٢.

(٣) عز الدين مجدوب- المنوال النّحوي، ص١٤١.

المعرَب وهو ما سَلِم من شبه الحروف، والثاني المبني وهو ما أشْبَه الحرف"[١] فربط بين الإعراب وأسباب الإعراب دون الإشارة إلى المعنى.

وقد شاع عند بعض المتأخرين من النحاة هذا المفهوم الشكلاني، وذلك بسبب ضعف " التدقيق المفهومي"[٢] لأقوال السلف، أو بسبب الاعتماد على المختصرات والكتب التعليمية.

وصفوة القول أن للإعراب تعريفين أحدهما وظيفي يركز على الإبانة عن المعنى، والآخر شكلاني ينطلق من كونه أثراً يجلبه العامل.

ولعل مسألة الشكل والوظيفة تقود إلى حضور جدلية اللفظ والمعنى في الفكر العربي، إذ هيمنت هذه الإشكالية على تفكير اللغويين والنحاة، وشغلت الفقهاء والمتكلمين، واستأثرت باهتمام البلاغيين، والمنشغلين بالنقد، ناهيك عن المفسرين والشراح[٣].

يرى محمد عابد الجابري أن المشكل الرئيسي في النحو العربي كان هو " الشكل أو " الضبط " أي وضع الحركات، التي هي علامات تحدد المعنى المقصود على الكلمات، وبالتالي فوظيفة النحو العربي هي تخصيص المعنى وتحديده أكثر مِمّا هي تنظيم المبنى وضبطه"[٤].

---

(١) ابن عقيل- شرح ابن عقيل، ج١، ص٢٨.

(٢) عز الدين مجدوب- المنوال النّحوي، ص١٤١.

(٣) انظر للتوسع: محمد عابد الجابري- بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص٤١-١٠٩.

(٤) المرجع نفسه- ص٤٣.

فثمة فرق بين أن تصوغ كلمة (مُستخرِج) على أنها اسم فاعل بضم الأول وكسر ما قبل الآخر، وبين أن تضم الأول وتفتح ما قبل الآخر (مُستخرَج) باعتباره اسم مفعول.

ولكن وجود تعريفين للإعراب أحدهما شكلاني والآخر وظيفي يدعونا للتساؤل لم قال النحاة بالتعريفيين؟ وهو ما سأعرض له تالياً.

٢-الإعراب ونظرية العامل:

أقام النحاة دراستهم للجملة على أساس نظرية العامل التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بظاهرة الإعراب، ولا شك أن النحاة لم يبلغوا في حديثهم عن هذه النظرية ما بلغوه إلا بعد طول إلف بتراكيب العربية وتأمل في ظواهرها، وما عليه نظام الجملة فيها من نزوع إلى الشكلانية، وما ينجم عن هذه الشكلانية من علاقة تركيبية تؤثر في الإعراب تأثيراً كبيراً إلى جانب الأثر المعنوي"[١].

والشكل اللفظي للتركيب أو شكلانيته من أهم مسوِّغات القول بنظرية العامل فلو قال قائل: ما جاءني أحدٌ.

ما جاءني من أحد.

فأي فرْقٍ في المعنى بين الجملتين؟

ونظريّة العامل افتراض في التفسير، فلقد وجد النحاة القدماء أن ثمة تراكيبَ تستجيب للبعد المعنوي وأن هناك تراكيب أخرى لا تستجيب لهذا البُعْد.

ويُحتَاجُ في التراكيب التي تستجيب للبعد المعنوي إلى علامة الإعراب حتى يكون الكلام مفهوماً خالياً من الإبهام، فاعتبر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أن "الرفع عَلَمُ الفاعلية.. وكذلك النصب علم المفعولية... والجر علم الإضافة"[٢] فالرفع جاء بتعبير ابن يعيش:

---

(١) المنصف عاشور- بنية الجملة العربيّة بين التحليل والنظرية، ج١، ص٢٤.

(٢) ابن يعيش- شرح المفصّل، ج١، ص١٩٦.

" للفرق بين الفاعل والمفعول اللذين يجوز أن يكون كل واحد منهما فاعلاً ومفعولاً ورفع المبتدأ والخبر لم يكن لأمر يخشى التباسه بل لضرب من الاستحسان والتشبيه بالفاعل"(١).

بَيْدَ أنّ المسند إليه قد يأتي منصوباً كما في الجملة الاسمية المقترنة بإنّ وأخواتها، مع أن حُكْمَ النّحاةِ الرفعُ علمُ الإسنادَ " وبهذا تعد الظاهرة المفيدة في بعض الاستعمالات اللغوية شاملة لاستعمالات أخرى وإنْ خلت من الفائدة أو كانت قيمتها الدلالية والتمييزية مشكوكاً فيها"(٢).

لعل تأثر بعض الباحثين المعاصرين بالمنهج الوصفي دفعهم إلى رفض نظرية العامل، لأنه من وجهة نظرهم " من الخطأ أن يبحث العلم بعلة الظاهرة، بل عليه أن يكتفي بالملاحظة الخارجية والوصف"(٣).

إنّ القول بنظرية العامل قد دفع إلى الأخذ بمبدأ التأويل و" البنية العميقة " وقد عاب تشومسكي على البنيويين: أنهم " اقتصروا على ظاهر اللفظ عند التحليل، فضلّ عنهم أن يفسروا بذلك جملاً لها تركيب خارجي واحد، ولكنّ معانيها مختلفة، وجملاً لها تراكيب خارجية مختلفة، ولكنها ذات معنى واحد"(٤).

---

(١) ابن يعيش- شرح المفصل، ج١، ١٩٨.

(٢) عبد القادر المهيري- دور الإعراب، ص٦٣.

(٣) انظر تمام حسّان- اللغة بين المعيارية والوصفيّة.

(٤) نهاد الموسى- نظرية النّحو العربي، ص٥٢.

والمقام في الدرس اللساني الحديث مكون من مجموعة من العناصر تشمل:

١. شخصية المتكلّم والسامع وتكوينهما الثقافي.

٢. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة . . .

٣. أثر النص الكلامي في المشاركين[١] .

ويتأكد دور المقام باستقراء الدرس النحوي عند العرب، حتى يمكن القول بأنه: "يشكل أصلاً آخرَ جديراً بأن يضاف إلى أصول نظرية النحاة عند العرب، فإنّه أصل مستأنس لديهم باطراد مستشعر في تَحليلاتهم على نحو يمثل استخراجه إحياءً لأصل من أصولهم صدروا عنه، وإنْ لم يصرحوا به تصريح اللسانيات الاجتماعية والحقول الملابسة لها في هذه الأزمنة"[٢].

إنّ الممارسة العملية للنحويين تكشف عن ربطهم التحليل النحوي بالمقام، فسيبويه منع قول القائل: هذا أنت " لأنك لا تشير للمخاطب إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك، وإنّما تشير له إلى غيره ألا ترى أنك لو أشرت إلى شخصه فقلت: هذا انت، لم يستقِم"[٣].

ويعقد سيبويه صلة بين الحركة الإعرابية وقيم المجتمع مثل تفسيره حركة الرفع حيث يقول: " وذلك قولك: له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاء، وله رأيٌ رأيُ الأصلاء، وإنما كان الرفع في هذا الوجه؛ لأنّ هذه خصال تذكرها في الرّجل كالحِلْم والعلم والفضل، ولم ترد أن

---

(١) انظر نهاد الموسى- الأعراف أو نحو اللّسانيات الاجتماعيّة في العربيّة، ص١٤٩.

(٢) المصدر نفسه- ص١٥٠.

(٣) سيبويه- الكتاب، ج١، ص١٤١.

تخبر بأنك مررت برجل في حال تعلّم ولا تفهّم، ولكنّك أردت أن تذكر الرجل بفضل فيه، وأن تجعل ذلك خَصلة قد استكملها، كقولك: له حَسَبٌ حَسَبُ الصالحين، لأن هذه الأشياء صارت تحلية عند الناس وعلامات، وعلى هذا الوجه رفع الصوت"[١] في حين يبيّن سيبويه في موضع آخر " أنه ليس كل موضوع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يحسن أن يعظّمَ بها، لو قلت مررت بعبد الله أخيك صاحبِ الثياب أو البزاز لم يكن هذا مما يُعَظَّم به الرجلُ عند الناس ولا يفخّم به..." [٢] وهكذا فالالتفات إلى الملابسات الخارجية للغة واعتمادها ضوابط في التفسير النّحوي " يساهم في الإحساس باللغة والتفاعل معها "[٣] لا سيما أن اللغة بحد ذاتها نشاط اجتماعي.

ويفسر سيبويه الحذف في ضوء التحليل الخارجي للجملة: " كقولنا عند رؤية صورة شخص: عبد الله، أو تقول عند سماع صوت إنسان: زيد... [٤] إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحج قاصداً في هيئة الحاجّ، فقلت: مكّةَ ... كأنك قلت يريد مكة"[٥] فعِلْمُ المخاطب كان مسوّغاً للحذف.

إن النصوص السابقة تؤكّد اهتمام سيبويه بالمقام بل إنّه " يتسع في تحليل التراكيب التي وَصْفُ المواقفِ الاجتماعية التي تُستَعْمَلُ فيها، وما يلابسُ هذا الاستعمال من حال

---

(١) سيبويه- الكتاب، ج١، ص٣٦١.

(٢) المصدر نفسه- ج٢، ص٦٩.

(٣) لطيفة النّجار- منزلة المعنى في نظريّة النّحو العربي، ص١٠١.

(٤) سيبويه- الكتاب، ج٢، ص١٣٠.

(٥) المصدر نفسه- ج١، ص٢٥٧.

المخاطب، وحال المتكلم وموضوع الكلام"[١].

أما ابن جني فيرى في وجوه القوم دلالة عما في نفوسهم، بل إنه يجعلها في منزلة متقدمة على الأيمان يقول : " الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس"[٢] ويضرب مثلاً على ذلك فيقول " ألا ترى إلى قوله:

نقول – وصكت وجهها– بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس؟

فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس من غير أن يذكر صك الوجه – لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال: فقال (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها وتعاظمُ الصورة لها. هذا مع أنك سامعٌ لحكاية الحال غير مشاهدٍ لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، وبعظم الحال في نفس تلك المرأة أبْيَن"[٣].

فالحدث الكلامي في النص السابق: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس.

أما الحدث غير الكلامي فهو: صَكت وجهها.

أما أثر الحدث غير الكلامي فهو قول ابن جنّي: (ولو شاهدتها لكنت بها أعرف وبعظم الحال في نفس تلك المرأة أبْيَن".

ويبين ابن جني أنّ الكلمة قد تكتسب معنى إضافياً من المقام الذي صاحبها، فليس لدلالة العقيرة الوضعية أو لاشتقاقها أي صلة برفع الصوت، لكنّ ابن جني ينقل عن أبي

---

(١) نهاد الموسى– الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، ص٦٦.

(٢) ابن جنّي– الخصائص، ج١، ص٢٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٥.

بكر بن السراج: "... إنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس: رفع عقيرته، أي رجله المعقورة"(١).

ويبلغ توظيف المقام مبلغه حينما اعتبر ابن جني أن الحدث غير الكلامي يَسُدُّ مَسَدَّ الحدث الكلامي يقول: " ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة؛ من ذلك أن ترى رجلاً قد سدد سهماً نحو الغرض، ثم أرسله، فتسمع صوتاً فتقول: القرطاسَ والله، أي أصاب القرطاس "وأصاب" في حكم الملفوظ به البتة وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به، وكذلك قولهم لرجل مُهوٍ بسيف في يده: زيداً أي اضرب زيداً، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به"(٢).

ويقرر ابن جني أن مخاطبة المرء وجهاً لوجه خير من الاستماع له دون التعرف على ملامح وجهه أثناء الحديث، يقول ابن جني: "إنّ الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: يا فلان، أين أنت أرني وجهك... فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه، لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه . . . . وعلى ذلك قالوا: " رُبَّ إشارةٍ أبلغ من عبارة . . . وقال لي بعض مشايخنا – رحمهم الله –: " أنا لا أحسن أن أكلّم إنساناً في الظلمة"(٣).

---

(١) ابن جني- الخصائص، ج١، ص٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه- ج١، ص٢٦٤ ، ٢٨٤، ٢٨٥.

(٣) ابن جني- الخصائص، ج١، ص٢٤٦-٢٤٧.

وبالرّغم من عناية النحاة بالمقام إلا أنّ هذه العناية جاءت بقدر " فلم يكن مبدأ أساسياً في عملهم وهو أمر لا يعيب النحاة، فقد التزموا بغاية أقاموا عليها منهجهم في وصف الظاهرة النحوية وتقعيد قواعدها وما يجب أن تكون عليه؛ "فاعتناء النحويين بالتركيب مُقدَّم على عنايتهم بالدلالة" (١).

وصفوة القول أن الاقتصار على البعد اللغوي الداخلي لا يفي بالغرض، وأنّ إضافة البعد الخارجي يتوافق مع الطبيعة الاجتماعيّة للغة ووظيفتها.

---

(١) عبد الحميد السيّد: التراكيب النّحوية من الوجهة التداولية، ص٦٣.

المبحث الثاني:التركيب في علم المعاني:

حد علم المعاني:

جاء البحث البلاغي بصورة عامة رغبة في تحقيق هدفين:

أ- هدف ديني يرمي إلى معرفة إعجاز كتاب الله، ومعرفة معجزة رسوله – صلى الله عليه وسلم.

ب- محاولة الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن من كلام العرب وشعره ونثره؛ ذلك لأن من لا علم له بأوجه البلاغة يعجز عن التمييز بين الفصيح والأفصح، والبليغ والأبلغ"[١].

وقد شكلت علوم المعاني والبيان والبديع وحدة تؤلف بمجموعها أصول البلاغة العربية، إلاّ أنها في مرحلة متأخرة تمايزت عن بعضها. وتطور البحث البلاغي حتى انتقل من دائرة التطبيق إلى دائرة الممارسة المنهجية في ثلاث مراحل: "مرحلة التذوق الفطري، مرحلة التجميع التأليف، ثم مرحلة التنظيم السكاكية[٢].

لقد جعل السكاكي (ت ٦٢٦هـ) البلاغة في كتابه " مفتاح العلوم " علماً له قواعده ونظرياته وأصوله، وقد قسم كتابه إلى أقسام ثلاثة: القسم الأول في علم الصرف، والقسم

---

(١) انظر عبد العزيز عتيق- علم المعاني، ص٣٥-٣٦.

(٢) محمد عبد المطلب- البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٢١.

الثاني في علم النحو، والقسم الثالث: في علم البيان والبديع، ثم أتم القسم الثالث بعلْمي الحدّ والاستدلال"[١].

قدم السكاكي تحديده المعرفيّ لعلم المعاني وهناك محاولات لبلاغيين آخرين مثل القزويني (ت ٧٣٩هـ) [٢] والعلوي (ت ٧٤٩هـ) [٣]، وبهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)[٤]... ولعل مناقشة حدّ علم المعاني عند السكاكي كافية، فالتطور الزمني لم يقابله تطور في المفهوم، فلا أجد إضافة جديدة على حد السكاكي، فقد بيّن أنّ علم المعاني هو:

" تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[٥].

ويظهر من هذا الحدّ أن موضوع علم المعاني هو دراسة العلاقة بين "تراكيب الكلام" و"مقتضى الحال "، فكل حال يقتضي تركيباً، وقد قال البلاغيون: لكل مقام مقال، والمطابقة بين تراكيب الكلام والحال تقتضي رصد ما يكون من تأثير السياق، فمثلاً في حال المتكلم والمخاطب وظروف الكلام في تأليف الكلام وتشكيله على أنماط تتنوع وفقاً للمقامات المختلفة.

---

(١) انظر السكاكي- مفتاح العلوم، ص٣٥.

(٢) انظر القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة، ج١، ص٩١.

(٣) انظر العلوي- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز، ص٨.

(٤) انظر السبكي- عروس الأفراح، ص١٥٥.

(٥) السكاكي- مفتاح العلوم، ص٣.

يمكن الوقوف على مجموعة من الملاحظات:

١. استهلّ السكاكي حدّه بكلمة تَتَبُّع " وهو يؤكد بذلك الناحية الاستقرائية لمختلف التراكيب والظواهر التعبيرية، ومن هنا يتبيّن اهتمامَ البلاغيين بالناحية الوصفية أو الشكلانية، حتى يمكن القول إنّه " لم يفت منهم تركيب دون أن يصفوه، ويضعوا له المصطلح الذي يتوافق مع شكلانيته"(١).

٢. ولكنّ هذا التتبع ليس مسلّطاً على التركيب، بل على خواصّ التركيب، ويشرح السكاكي أن المعنيّ" بتراكيب الكلام، التراكيب الصادرة عمّن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء ، لا الصادرة عمن سواهم، لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات الحيوانات، تصدر عن محالها بحسب ما يتفق، وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماعه ذلك التركيب جارياً مجرى اللازم له، لكونه صادراً عن البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازماً لما هو هو "(٢).

إنّ التركيب يشكل المرجعية لعلماء النحو وكذلك لعلماء المعاني، ولكن علماء المعاني يبحثون في التركيب من أجل البحث في خواصّه للوصول إلى المطابقة بين الدلالة ومقتضيات الأحوال والمقدمات. وهو ما أدى إلى رصد البعدين المكاني والزماني للصياغة. " فالبحث البلاغي تجاوز البحث اللغوي لأنه تجاوز (القدرة اللغوية) إلى (الطاقة الإبداعية)، فالأخيرة هي صاحبة القدرة على خلخلة الدلالة الوصفية، والخروج بها إلى

---

(١) محمد عبد المطلب- البلاغة العربية قراءة أخرى، ص١٩.

(٢) السكاكي-.مفتاح العلوم، ص٧٠.

تشكيلات لا يسمح بها المعجم، لأنها تسمح بتكوين متنافر الدلالة، لا يمكن قبوله إلا من منطلق إبداعي خالص أطاق عليه القدماء التوسع"[١].

٣. ولمّا كان علم المعاني معنياً بالبحث في التراكيب ذكر السكاكي (الكلام) ولم يذكر (اللغة) لأن اللغة تمثل الأصل، وعلم المعاني مَعْنيّ بما هو خروج أو عدول عن الأصل.

٤. واشترط السكاكي الإفادة في التركيب، لأن التراكيب غير المفيدة تلحق بأصوات الحيوانات على حد تعبيره، " وبما أن الإفادة شرط للتركيب، إذن وجب أن يكون هناك مفيد ومستفيد، وهما طرفا عملية الاتصال"[٢].

ولم يكتف السكاكي بالإفادة شرطاً للتركيب، بل إنه أضاف شرط الاستحسان، وهو يشير إلى الناحية الجمالية للتركيب.

٥. أما عن الغاية التي يسعى إليها علم المعاني فهي " الاحتراز عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال" ولكن ما المقصود بالخطأ؟ أهو الخطأ العقليّ المنطقي أم هو الخطأ الفني الذي يخرج الكلام عن كونه بليغاً؟

إنّ العلاقة ليست معنيّة بتقويم اللّسان " والتحرّز من اللّحن وزيغ الإعراب، فنعدّ بمثل هذا الصّواب، وإنّما نحن في أمور تدرك بالفِكَر اللطيفة أو دقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، فليس درك صواب دركاً فيما نحن فيه حتى يشرف موضعَه، ويصعب

---

(١) محمد عبد المطلب- البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٢.

الوصول إليه، وكذلك لا يكون ترك خطئٍ تركاً حتى يحتاج في التحفظ منه على لطف نظر، وفضل رويّة، وقوة ذهن، وشدة تيقّظ"[١].

٦. إن المطلب الذي ترمي إليه البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، واعتبر البلاغيون أنّ الحال تكون وفق ثلاثة أنماط:

أ- الابتدائية: وهي أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي هو مضمون الخبر، وعندئذ تقتضي مطابقة الكلام لحاله أن يلقى إليه مجرداً من أي تأكيد.

ب- الشك: ويكون المخاطب على علم ما بالخبر، ولكنّ علمه به يمتزج بالشك، و طبقاً لمقتضيات البلاغة يحسن توكيد الخبر له إزالة للشك وتمكيناً للخبر من نفسه.

ج- الإنكار: ويكون المخاطب على علم بالخبر ولكنه منكر جاحد له، وعندئذ يجب أن يلقى إليه الخبر مؤكداً بمؤكّد أو أكثر تبعاً لدرجة إنكاره قوة وضعفاً"[٢].

ومن أمثلة موافقة الكلام لمقتضى الحال، قول الله – عز وجل – " إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث، قالوا إنّا إليكم مرسلون" . . . ولما أنكروا وجحدوا انتهت الآية الكريمة بقول الله عز وجل: " إنّا إليكم لمرسلون "[٣].

إنّ مطابقة الكلام لمقتضى الحال تستلزم مراعاة الحالة الإدراكية المختلفة للمتلقي، " كما أنّها – في الوقت نفسه- تستحضر المتكلّم – في حالة خاصة هي حالة (الوعي

---

(١) الجرجاني- دلائل الإعجاز، ص٨١..

(٢) انظر عبد العزيز عتيق – علم المعاني، ص٣٧-٣٨.

(٣) سورة يس- آية رقم ١٤.

والقصد) لأن غيابهما يتنافى مع مراعاة الحال والمقام"[١]. ومن هنا جمع الحد بين طرفي عملية الاتصال المتكلِّم والمُتَلَقِّي.

ربما يكون المقتضى واحداً على الرُّغم من اختلاف المقام، " فالتعظيم والتحقير مقامان متغايران، ومقتضاهما واحد هو الحذف، ذلك أن المقصود بالتغاير، التغاير الذي يتوافق مع الحالة النفسية المصاحبة، ومن هنا يكون الحذف مع التعظيم مغايراً للحذف مع التحقير "[٢].

وقد يأتي الكلام على غير مقتضى الحال، فيخاطب من هو عارف الخبر بحال من هو خالي الذهن، مثلما وصف الله – عز وجل – القرآن الكريم بقوله: " ذلك الكتاب لا ريب فيه" على الرغم من أن هناك من ينكر القرآن، فأنزلهم منزلة العارف بالخبر المحيط به، وذلك لأغراض بلاغية، والخروج على غير مقتضى الحال عند السكاكي متى وقع عند النظار استهش الأنفس، وأنّقَ الأسماع وهزّ القرائح، ونشّط الأذهان، ولأمر ما تجد أرباب البلاغة، وفرسان الطِّراد في ميدانها الرامية في حذق البيان يستكثرون من هذا الفنّ في محاوراتهم"[٣].

---

(١) محمد عبد المطلب– البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٧٠.

(٢) المرجع نفسه– ص٧١.

(٣) السكاكي– مفتاح العلوم، ص٧٥.

التراكيب العدوليّة ومقاصدها:

حَرَصَ النحويّون على رعاية الأصل في الوظائف النحوية، بالرغم من إدراكهم أن التركيب قد يتجاوز هذا الأصل لغاية من الغايات.

أما البلاغيون فإنهم لا يعتدُّون من حيث القيمة البلاغية إلا بما يمثل عدولاً عن الأصل، أو عن المستوى العادي المألوف بل إنهم يحاولون توظيف هذا العدول لإظهار مقاصد التركيب.

ولا يعني أنّ البلاغيين قد أهملوا الأصل، فإن الوعي بالانحراف أو العدول ودرجته، يستلزم بالضرورة حضور الصورة المقابلة، وهي صورة الأصل.

إن نظام الجملة في العربية يقوم على تقديم المسند إليه إذا كانت جملة اسمية

م (المسند إليه) + م (المسند) + ف (الفضلة).

أما الجملة الفعلية فتتبع النظام الآتي:

م (المسند) + م أ (المسند إليه) + ف (الفضلة).

إنّ الصورة السابقة لنظام الجملة هي صورة الأصل، التي ضبط النحويّون أركانها بتحديد وظيفة لكل ركن من هذه الأركان.

وقد يُعْدَل عن الأصل، ومظاهر العدول تتنوع وتتعدد:

أ- في البنية الصرفية: بما يطرأ عليها من تعريف أو تنكير أو نقل بنيابة أو تضمين.

ب- أو في الرتبة (غير المحفوظة) بما يحدث من تقديم أو تأخير.

ج- أو في النظم: من حذف أو زيادة أو اعتراض أو فصل بين أجزائه[١] ...

فإذا حصل تغير في ترتيب عناصر النظام، فسرّه النحويون من منطلق " العناية والاهتمام " قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: " كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم به أعنى، وإنْ كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم"[٢].

ويؤكد ابن جني كذلك فكرة العناية والاهتمام بقوله: " ذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، (كضرب زيد عمراً)، فإذا عناهم ذِكْرُ المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا: (ضرب عمراً زيدٌ) فإذا زادت عنايتهم به قدّموه على الفعل ناصبه فقالوا: (عمراً ضرب زيدٌ)، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة، فقالوا (عمروٌ ضربه زيدٌ) . . ثم زادوا على هذه الرتبة فقالوا (عمروٌ ضرب زيدٌ) فحذفوا ضميره ونوّنوه ولم ينصبوه على ظاهر أمره[٣] .

يرى عبد القاهر الجرجاني أن " تقديم الشيء على وجهين: تقديم يقال إنّه على نية التأخير.... وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم ... من هذا قولنا: (ضربت زيداً) و (زيد ضربته) لم تقدم زيداً على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر له"[٤].

---

(١) انظر تمام حسّان - اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٠٧.

(٢) سيبويه- الكتاب، ج١، ص١٥.

(٣) ابن جني- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج١، ٦٤-٦٥.

(٤) عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز، ص١٣٦.

وهكذا يظهر أن " ابن جني ومن بعده عبد القاهر قد اتخذا من تقديم المفعول أصلاً قاسا عليه حالات أسلوبية، ويقوم هذا الأصل على أنه كلما ابتعد المفعول أكثر عن الأصل الذي بدأ التركيب منه زادت العناية بشأنه والتنبيه عليه"(١).

إنّ العدول عن الأصل بكل مستوياته السابقة – يمنح الخطاب الأدبي سمتاً خاصاً، ويبعده عن سمة الوضوح، ويكتفي بالإشارة الدالة في السطح، ويتيح للمتلقي أن يتدخل مباشرة في استحضار الإشارة.

ويمكن للسّياق أن يكون مزدوجاً في فاعليته الإنتاجية، فقد يدل على التعظيم أو التحقير مثلاً، وهو ما يؤكد تلازم العدول مع حركة الفكر التي ترتبط بالبعد النفسي للمتكلم، وتشدُّ الصياغةَ إلى جبرية تناسب وظيفتها اللغوية لا وظيفتها البلاغية"(٢).

---

(١) عبد الحميد السيّد- التراكيب النحويّة من الوجهة التداوليّة، ص١٦٦.

(٢) محمد عبد المطلب- البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٢٣٧.

البلاغيون والمقام:

احتفى البلاغيون بالمقام، ووظّفوا المعطيات الثقافية والاجتماعية في تحليل التراكيب " فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الهجاء أو الدعاء، أو الاستعطاف أو التمني"[١] بل إنّهم اختطّوا منهجاً تلخّصه عبارتهم الشهيرة " البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال" و " لكل كلمة مع صاحبتها مقام".

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني في غير موضع أهمية المقام، وهو يقدم نظرية النظم التي تقوم على نوعين من العلاقات[٢]:

أ- التصاقب اللفظي بين الكلمات، فلا نظم إلا أن يوضع الكلامُ الوضعَ الذي يقتضيه علم النحو "حتى يَعلَقَ بعضُها ببعض، ويُبْنى بعضها على بعض وتُجعلَ هذه بسبب من تلك"[٣].

ب- العلاقات الدلالية في داخل التركيب، فعبد القاهر يفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم، وذلك أن نظم الحروف عنده " هو تواليها في النطق، وليس نظمها بِمُقْتَضَى عن معنى ... فلو أن واضع اللغة كان قد قال: (رَبَضَ) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[٤] وأما نظم الكلم " فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتّبها حسب ترتب المعاني في النفس، فهو إذن نظمٌ يعتَبَرُ فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه " ضَمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق.

---

(١) تمام حسّان- اللغة العربية معناها ومبناها، ص٢٣٧.

(٢) الجرجاني- دلائل الإعجاز، ص٨١.

(٣) المصدر نفسه - ص٥٥.

(٤) المصدر نفسه- ص٤٦.

ولذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلّ حيث وُضع علةٌ تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"[١].

والفائدة التي يسعى إليها الجرجاني من هذا التمييز تأكيد أنّ الغرض من نظم الكلم هو تناسق دلالتها، إذ ليس المقصود بذلك توالي الألفاظ في النطق، أو ضم الشيء إلى الشيء كيفما اتفق، بل لا بد من النظم من تتبع آثار المعاني واعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، ولا بد فيه من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل"[٢].

لقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أهمية المقام في اختصاص كلمة بمعنى من المعاني دون غيره. فقد تدل كلمة (اليد) على العضو المعروف من الجسم، وقد تدل على النعمة، وذلك إذا اقترنت بإشارة إلى تلك النعمة، وقد تدل على الفوائد، والآثار الصادرة عنها. وقد يرادُ بكلمة (اليد) أيضاً معنى القدرة، كما في قولهم: " فلان طويل اليد، يراد به فضل القدرة، فأنت لو وضعت القدرة ههنا في موضع اليد أحلت، كما أنك لو حاولت في قول النبي – صلى الله عليه وسلم- وقد قالت له نساؤه – صلى الله عليه وسلم – أيّتنا أسرع لحاقاً بك يا رسول الله؟ فقال: أطولكن يداً، يريد السخاء والجود وبسط اليد بالبذل، أن تضع موضع اليد شيئاً مما أريد بهذا الكلام خرجت عن المعقول"[٣].

---

(١) الجرجاني- دلائل الإعجاز، ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه – ص٤٩-٥٠.

(٣) المصدر نفسه – ص٣٥٦-٣٥٧.

وهكذا لم يحصر البلاغيون المقام في الإطار الخارجي، بل إنهم نظروا إلى داخل التركيب " فكل تغير في علاقة المجاورة بصاحبه تغير في المقام، فحضور المقام حضور" وهمي يتدخل في خفاء التركيب ليمارس فاعليته في إنتاج المعنى"[١].

ويجعل الجرجاني المقام معياراً للميز بين الحقيقة والمجاز، يقول الجرجاني: " قولك: زيد أسد، وهذا الرجل سيف صارم على الأعداء، استحال أن يُظَنّ، وقد صرّحتَ له بذكر زيد أنك قصدت أسداً وسيفاً. ولما كان كذلك، كان قصد التشبيه من هذا النحو بيّناً لائحاً، وكائناً من مقتضى الكلام، وواجباً من حيث موضوعه، حتى إنْ لم يحمل عليه كان محالاً"[٢].

ويعلق الجرجاني على قول ذي الأصبع:

أهلكنا الليل والنهار معاً والدهر يعدو مصمماً جذعا

"كان طريق الحكم عليه بالمجاز أن تعلم اعتقادهم التوحيد، إمّا بمعرفة أحوالهم السابقة، أو بأن تجد في كلامهم من بعد إطلاق هذا النحو، ما يكشف عن قصد المجاز فيه"[٣] فنسبة الأفعال إلى الليل والنهار تكون على سبيل المجاز إذ علمنا أنّ القوم يدينون بالدين الإسلامي، إذ " لا يصح أن يكون قول الكفار: " وما يهلكنا إلا الدهر" (الجاثية/٢٤) من باب التأويل والمجاز"[٤].

---

(١) محمد عبد المطلب- البلاغة العربية قراءة أخرى، ص٧١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣) المرجع نفسه- ص٣٨٩.

(٤) المرجع نفسه- ص٣٩٠.

لقد جاءت نظرية عبد القاهر الجرجاني تتويجاً للممارسة التطبيقية عند المفسرين والأصوليين والمجتهدين إضافة إلى اللغويين.

فمن أدوات المفسّر معرفة الظروف الخاصة بنزول الآيات، والإحاطة بالملابسات التي تحيط بتلك الآيات، إضافة إلى معرفة الترتيب الزمني لنزول الآيات، ومعرفة المكي والمدني، فعلم المناسبة " من العلوم التي يجب أن يتفقه فيها المفسر، وبخلاف ذلك لا يحق له أن يخوض في كتاب الله تعالى، وليست المناسبة في معرفة أسباب النزول فحسب، بل هي أيضاً معرفة العلائق التي تربط أوائل السور بالأواخر، وتعلق الآي بالآي"(١).

وأبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) من الأصوليين الذين أكدوا توظيف المقام فهو يشير إلى أن تعابير الوجه، وحركات المتكلم تسهم في الإبانة عما في النفس " إن قصد الاستغراق يُعْلَمُ بِعِلْمٍ ضروري يحصل من القرائن والأحوال، ومن رموز وإشارات وحركات من المتكلم" وتغييرات وجهه، وأمور معلومة من عاداته ومقاصده، وقرائن مختلفة لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها في وصف، هي من القرائن التي يعلم بها خجل الخَجِل، وجُبْنُ الجبان، كما يعلم قصد المتكلم إذا قال: " السلام عليكم" أنه يريد التحية أو الاستهزاء أو اللهو"(٢).

ومثلما راعى البلاغيون المستوى الثقافي للمخاطب، راعوا كذلك المستوى الاجتماعي له، ومثال ذلك ما ورد في " معالم الكتابة " لابن شيت القرشي (ت ٦٢٥هـ)، " أن كلمة " الأجَلّ " كانت تستعمل في مخاطبة الوزير، ومن المحظور إطلاقها على غيره، ثم انخرم

---

(١) الزركشي- البرهان في علوم القرآن،ج١، ص٣٥-٣٦.

(٢) الغزالي- المستصفى من علم الأصول،ص ٣٣٩.

الأمر فيها حتى نعت بها كل الناس، فاحتيج مع ذلك إلى لفظ آخر يعيد لها اقترانها بالوزير، فقالوا: " السيد الأجل " لتمييزه عن غيره[١].

أما الخطيب القزويني فذكر في الإيضاح " بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال، مع فصاحته ومقتضى الحال مُختَلِف ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير مباين لمقام التعريف، ومقام الإطلاق مباين لمقام التقييد، ومقام التقديم مباين لمقام التأخير، ومقام الذكر مباين لمقام الحذف، ومقام القصر مباين لمقام خلافه، ومقام الوصل مباين لمقام الفصل، ومقام الإيجاز مباين لمقام الإطناب، وكذا خطاب الذكي مباين لخطاب الغبي"[٢].

يشير النص السابق إلى تقدير كبير لدور المقام في الخطاب، وهو ما يؤكد أن البلاغيين "عنوا بالجملة بكل احتمالاتها التركيبية"[٣]، فقد راعوا المستوى الثقافي للمخاطب، وفسروا ما يعرض للتركيب من ذكر أو حذف، أو تقديم أو تأخير، . . في ضوء المقام.

بَيْدَ أن تناولَ البلاغيين للمقام يختلف عن تناول النحويين له، فالمقام " يمثل نقطة التقاء مشترك بينهم ثم يفترقون، وهكذا يصبح هذا البعد الخارجي " أصلاً " في النحو على مستوى، " وأصلاً " في البلاغة، علَى مستوى آخر"[٤].

---

(١) القرشي- معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ص٦٦.

(٢) الخطيب القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة، ص٨٠.

(٣) عبد الحميد السيّد- التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، ص٧٢.

(٤) نهاد الموسى- الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية، ص١٧٢.

فالبلاغي معني بإظهار جمالية التركيب مما يقتضي " النظر إلى التراكيب على أساس صورتها الظاهرة المنجزة في إطار التفاعل بينها وبين مقتضيات المقام"[١] مما يستلزم حضور قضية الأصل والعدول عنه. من خلال النظر في مقاصد هذا العدول.

---

(١) عبد الحميد السيد- التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، ص٦٥.

العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني

تعرض النحاة والبلاغيون قدماء ومحدثين إلى توصيف العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني، فنظرة القدماء تؤكد الافتراق التام بين العلمين، مع إيمانهم بعلاقة تكاملية تجمع العلمين، بينما نادى بعض المحدثين إلى المزج بينهما، وهدم الحدود الفاصلة.

يعرض عبد القاهر الجرجاني لنوع من الكلام فضله في معناه لا في نظمه، وقد يمتاز بالصحة النحوية غير أنّه ليس الصواب المقصود، يقول: "لأنّا لسنا في ذكر تقويم اللّسان، والتحرز من اللحن وزيغ الإعراب، فنعتد بمثل هذا الصواب، وإنّما نحن في أمور تدرك بالفِكَرِ اللّطيفة..." [١] فهدف الجرجاني يتعدى السلامة من اللحن إلى نوع من الكلام تتعدد وجوه الصواب فيه، ويختار المبدع أو المتكلم ما يتلاءم مع سياق الحال، يقول الجرجاني: " إنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً يعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني"[٢].

وقد وضع السكاكي حداً لكل من علم النحو وعلم المعاني يقول في مقدمة كتابه " فقد ضمّنت كتابي هذا من أنواع الأدب، دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصرف بتمامه، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه

---

(١) عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز، ص٩٨.

(٢) المصدر نفسه- ص٩٨.

الثلاثة، قد كشفت عنها القناع، وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان"[١].

إنّ السكاكي قد حرص على وحدة اللغة، ولكنه قد وضع هذه الوحدة في إطار من التنوع، فهو يشير إلى أنها " أنواع متأخذة " وقد نبه السكاكي في تعريفه إلى أن علم المعاني معني بخواص التركيب وليس معنياً بالتركيب.

ويجتهد ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) في إيضاح العلاقة بين العلمين، إذ يقول: "فموضوع النحو هو الألفاظ والمعاني، والنّحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية.. وموضوع علم البيان – ويقصد به البلاغة – هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يُسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية. وهو والنحوي يشتركان في أنّ النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة. وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة. والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النّحو والإعراب، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور. ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنّه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة"[٢].

فهو يؤكد مثل السكاكي فكرة المستويات ضمن النظام اللغوي، فلم يعن النحاة بفصاحة النص وبلاغته القائمة على مبادئ جمالية أو فنية.

---

(١) السكاكي– مفتاح العلوم، ص٣٧.

(٢) ابن الأثير– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، ص٢٦.

وفي موضع آخر يبين أن النحاة " لا يلزمهم أن يقولوا في كتب النحو أكثر مما قالوا، وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو شيئاً من التصريف، لأن كلاً من النحو والصرف علم منفرد برأسه، غير أن أحدهما مرتبط بالآخر، ومحتاج إليه[١].

ويرى العلوي في الطراز أن " النحوي ينظر في التركيب من أجل تحصيل الإعراب، وصاحب علم المعاني ينظر في دلالته الخاصة، وهو ما يحصل عند التركيب من بلاغة المعاني". وهو يؤكد أن النحوي معني بالدرجة الأولى بالتركيب، أما البلاغي – وإن اعتنى بالتركيب– فإنّ مسألته الأساسية هي الدلالة[٢].

وقد تابع العديد من المحدثين نظرة القدماء، وأنكروا دعوة دمج علم النحو بعلم المعاني، وذلك لاختلاف الأغراض والموضوعات، فإن لبعض مباحث المعاني أغراضاً خاصة، ونكتاً بلاغية لا يتسع لها الدرس النحوي، يضاف إلى ذلك أن البحث النحوي سيتسع اتساعاً كبيراً عند إدخال جميع مباحث علم المعاني"[٣].

ويرى عز الدين مجدوب أن الفصل الذي أقامه النحاة والبلاغيّون بين العلمين " مكّنهم من حصر مجال دراستهم، وجمع معطيات متجانسة حسب وجهة نظر محددة"[٤].

أما بعض المحدثين الذين دعوا إلى دمج علم النحو بعلم المعاني، فقد انطلقوا من شكلانية النحو المفرطة، واتهموه بقصره على العامل والإعراب، فالنحو عندهم " علم

---

(١) ابن الأثير– المثل السائر، ج١، ص٢٦.

(٢) العلوي– الطراز، ص١١.

(٣) أحمد مطلوب– البلاغة عن السكاكي، ص٢٩٠.

(٤) عز الدين مجدوب– المنوال النحوي العربي، ص١٩.

يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً"[١] وفي هذا الحد الذي اختاره إبراهيم مصطفى وغيره تضييق شديد لدائرة البحث النحوي، كما أنه لا يمثل رؤية النحاة المحققين، وقد سبق أن تناول البحث دواعي قصور هذه الرؤية في الحديث عن حد علم النحو".

يقول إبراهيم مصطفى: " فجمهور النحاة لم يزيدوا في أبحاثهم النحوية حرفاً، ولا اهتدوا منه بشيء، وآخرون أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بياناً لرأيه وتأييداً لمذهبه، وجعلوها أصول علم من علوم البلاغة سموه (علم المعاني)، وفصلوه عن النحو فصلاً أرهق روح الفكرة وذهب بنورها. وكان أبو بكر يبدئ ويعيد في أنها معاني النحو، فسموا علمهم (المعاني) وبتروا الاسم هذا البتر المضلل"[٢].

وهكذا يتبين أن نظرة القدماء تؤكد الفصل بين العلمين، ولا يمنع ذلك ارتباط أحدهما بالآخر، " فكل علم منفرد برأسه، غير أن أحدهما مرتبط بالآخر، ومحتاج إليه" فعلم النحو يختلف عن علم المعاني في الآتي[٣]:

	علم النحو	علم المعاني
١. الموضوع	معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى	معرفة خواص التركيب المرتبطة بالسياق
٢. الهدف	يحترز به عن الخطأ في التركيب	يحترز به عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال بقصد الوقوف على مواطن الفصاحة والبيان

---

(١) إبراهيم مصطفى- إحياء النحو، ص١.

(٢) المرجع نفسه- ص١٩.

(٣) عبد الحميد السيد- دراسات في اللسانيات العربية، ص١٨٧.

٣. اللغة والكلام	استحوذت اللغة على اهتمام النحاة، بهدف رصد المراد من النظام مع اعتباره المقام ضابطاً	دراسة الكلام وفقاً لمتقضيات المقام
٤. المعنى	يتناول أصل المعنى (أي ثبوت المسند إلى المسند إليه) ويتبين بالإعراب الذي معناه الإبانة، وينطلق من المبنى إلى المعنى	وينطلق من المعنى إلى المبنى
٥. مقولة الأصل	الاهتمام بالأصل ورد كل عدول إليه	الاهتمام بما عدل عن الأصل، واستخصاره ليقاس عليه درجة العدول كماً وكيفاً.
٦.الصواب والخطأ	ضابطة القواعد الموضوعة	ضابطة السياق
٧.مفهوم الفصاحة	فصاحة من يجوز أخذ اللغة عنه أي الموثوق بعربيته	فصاحة المنشئ اللغوي وعدم التأثر لا العروبة العرقية

الفصل الثاني

المناهج اللّسانيّة بين الشكلانيّة والوظيفيّة

الفصل الثاني

المناهج اللّسانيّة بين الشكلانيّة والوظيفيّة

" اتخذت غالبية المدارس اللّسانية الحديثة – على اختلاف توجهاتها –الجملة وحدة لغوية مناسبة للدراسة، وجعلوا النّظام النّحْوي لبّ الدراسات اللغويّة في هذا القرن على اعتبار أنّه قلب الأنظمة اللغويّة، وواسطة العقد بينها"(١).

وقد تمايزت المناهج اللّسانيّة في إطار الشكلانيّة والوظيفيّة، وفقاً لمنطلقاتها في وصف التراكيب اللغويّة، فالاتجاه الشكلانّي يقصر اهتمامه على البعد الداخليّ دون اعتبار للبعد الخارجيّ للظاهرة اللغويّة، ويندرج تحت هذا الاتجاه:

أ- المنهج الوصفيّ البنيويّ: وقد دعا أصحابه إلى "فصل البنية عن كل الظروف التاريخيّة والاجتماعيّة التي تحيط بها، والاقتصار على تفعيل دور العلاقات الداخليّة بين أجزائها"(٢).

ب- المنهج التوليدي التحويلي: وفيه يتمّ "وصف الظاهرة اللغويّة دلاليّاً؛ بردّ بنيتها السطحيّة المنجزة فعلاً إلى بنية عميقة"(٣) فهم يولون عنايتهم بالأسس العميقة المفسّرة للسلوك الخارجيّ.

---

(١) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص٢٨٥.

(٢) محمد محمد يونس علي- أصول اتجاهات المدارس اللّسانيّة الحديثة، ص١٦٨.

(٣) عبد الحميد السيّد- التراكيب النّحوية من الوجهة التداوليّة، ص٧٤.

وفي مقابل الاتجاه الشكلانّي يبرز الاتجاه الوظيفيّ، وهو على تشعّب توجهاته يرى أنّ " البنى اللغويّة محكومة بوظائف اللّغة التي لا تتحقق إلا في سياقات الكلام الفعلي"[١] مستنداً إلى البعد التداولي للّغة.

وسيعرض البحث هذه الأنظار، فيما يخدم هدف البحث وأغراضه، بالقدر الذي يبيّن المظاهر الشكلانيّة والوظيفيّة في هذه الأنظار.

المبحث الأول: الاتجاه الشكلاني:

المنهج الوصفي:

ظهر المنهج الوصفّي بعد أن رأى روّاده أنّ التناول التاريخيّ للظاهرة اللّغويّة ليس علميّاً، ومن ثمّ فإنّه لا يقدّم "صورة متكاملة على السّطح، بل تؤدّي إلى صور مختلفة حيث نرى خطوطاً تتفرّع وقد تختفي، ويصعّب المقابلة ويستحيل التمييز"[٢].

ويدل المنهج الوصفّي على منحى " في الدراسات اللّسانيّة الحديثة يقوم بدراسة اللّغة ووصفها مستبعداً التعليل والفلسفة والمنطق عند تحليل الظاهرة اللغوية"[٣]. والنحو في إطار هذا المنهج" شكليّ أو صوريّ، إنّه ينظر إلى الصور اللفظيّة المختلفة التي تعرضها لغة من اللّغات، ثم يصنّفها على أسس معيّنة، ثمّ يَصِفُ العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفاً موضوعياً "، وهو وظيفيّ لأنه يقوم كذلك على إدراك الدور الذي تقوم به الكلمة في الجملة[٤].

---

(١) محمد محمد يونس علي- أصول اتجاهات المدارس اللّسانيّة الحديثة، ص١٦٨.

(٢) نهاد الموسى- نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللغوي الحديث، ص٢٨.

(٣) داود عبده- أبحاث في اللّغة العربيّة، ص٩.

(٤) محمود السّعران- علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربي، ص٢٠٧.

إنّ هؤلاء الوصفيين يرون أنّ التحليل النّحْوي يجب أنْ يكون شكلانيّاً (Formal) من أجل أن يكون صالحاً للدراسة اللغوية الوصفيّة، وعليْه أن يتحرّر من الاعتماد على المعنى، طالما أنّ النّحو مسألة خاصة بالشكل اللّغوي، وأنّ التحليل النّحْوي جزء من تحليل الشكل النحْوي.

ويعتبر أصحاب المنهج الوصفيّ أنّ " النحْو علم تصنيفيّ غايته الأولى استقراء الصّيغ الأساسية في اللّغة حسب درجة التواتر، وأنّ أتباعها يلتزمون بالموضوعيّة المتمثلة في الوصف الاختباري (الاستقرائيّ) مما حداهم على اطّراح العوامل النفسيّة والفلسفيّة عند دراسة الظواهر اللغويّة، كما كان ذلك باعثاً على رفض كل اعتبار صفويّ، فنفوا أنْ تشمل اللّغة على أخطاء، واعتدّوا أنْ كل ما ينطق به الإنسان صحيح نَحْوياً "[١].

وتتلاقى البنيويّة الأوروبية والأمريكيّة إلى حدّ كبير، و " إنْ غلبت النزعة الصوريّة في البنيويّة الأمريكيّة "[٢].

ويُعَدُّ (فرديناند دي سوسير) (١٨٥٧- ١٩١٣م) الأب الحقيقي للحركة البنيوية "فالمدارس البنيويّة على اختلافها قد انبعثت كلّها من بين دفّتي كتاب سوسير "محاضرات في اللّسانيات العامّة "[٣].

وقد تأثّر (سوسير) بالنزعة الوضعيّة الدوركايميّة (نسبة إلى دوركايم) فَعَدّ اللغة حقيقة اجتماعيّة، وبالرّغم من ذلك فقد سعى أنْ يكون علم اللّغة مستقلاً بذاته، فقد حدّ موضوع

---

(١) عبد السلام المسدّي- اللسانيّات وأسسها المعرفيّة، ص١٤٤.

(٢) نهاد الموسى- نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص٢٨.

(٣) انظر المرجع نفسه- ص٢٧.

علم اللّغة " هو دراسة اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها"[١].

كان (لسوسير) الأثر الكبير في نشوء المدرسة الوصفيّة التشكيليّة في علم اللغة، فقد ركزّ اهتمامه على بحث الأنماط والتراكيب الشكلانيّة في اللّغة، ومع ذلك كان له أثر في دراسة المعنى بسبب نظرته إلى اللّغة بوصفها نظاماً متكاملاً " فقد أجرى عدداً من الدراسات لمحاولة التوصّل إلى معرفة التركيب الداخلي أو البنية الداخليّة لمفردات اللّغة جميعها لاكتشاف العلاقات المعنّوية بينها "[٢].

وترتدّ جذور المنهج الوصفي إلى تلك الموازنة، التي أقامها (سوسير) بيْن مجموعة من الثنائيات ميّز فيها بيْن:

١. اللّغة والكلام:

فاللّغة "إنتاج جماعيّ " وضعته الجماعة التي تَستعمل مثل هذا النّمط من الاتّصال الرّمزي الإشاري في أذهان المتكلّمين بها، فاختزنت في أذهانهم بالقوّة، بدلالتها على ما تشير إليْه، وبما أحيطت به من أطرٍ نفسيّة واجتماعيّة وحضاريّة وتاريخية "[٣].

وتنتقل اللّغة من حيّز الوجود بالقوّة إلى حيّز الوجود بالفعل عن طريق الكلام فهو " الأداء الفرديّ للّغة الذي يتحقق من خلال هذا النظام "[٤] ويصل الباحث اللغويّ إلى وضع قواعد تلك اللّغة وقوانينها من خلال رصده كلام عدد من أفراد المجتمع.

---

(١) انظر محمود السّعران- علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربي، ص٥١.

(٢) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة، ص٣١٩.

(٣) خايل عمايرة- في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، ص٤٠.

(٤) حلمي خايل- العربيّة وعلم اللّغة البنيوي دراسة في الفكر اللّغوي الحديث، ص٩٩.

٢. التزامنية والتعاقبيّة:

التزامنية (Synchronic) تقوم على دراسة اللّغة في حالة ثبات، "لإبراز أهم خصائص اللّغة ولرصد قواعدها، وقوانينها، وكيفيّة انتظام مبانيها الصرفيّة والتركيبيّة"[١].

أما التعاقبيّة (Diachronic) " فتبحث في اللغة في عصور تاريخيّة متتابعة متلاحقة لإبراز التطوّر والتغيير الذي يجري على اللغة بمرور الزّمن "[٢].

٣. البعد الداخلي والبعد الخارجي:

ويرى (سوسير) أنّ للّغة بعدين تقوم عليهما: البعد الخارجي " ويرتبط بأطر خارجيّة تتصل بالمجتمع وتاريخه، وبموقعه الجغرافيّ، وبإنتاجه الأدبيّ وصراعه السياسيّ"[٣].

أما البعد الداخليّ، وهو الجوهر والمضمون، فهو الذي " يمثل النظام الذاتي الدقيق للغة، ويعتمد هذا البعد على أنّ الوحدات التي تكوّن اللّغة تكتسب قيمتها الدلاليّة اللغوية بتمييزها عن بعضها اعتماداً على ما فيها من فروق "[٤].

٤-العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية:

أما العلاقات الرأسية(Paradigmatic) فيتم تحديدها بعلاقات الاستبدال بين الوحدات القادرة على القيام بالدور نفسه، في حين تتحدد العلاقات الأفقية (Syntagmatic) بين العناصر التي يمكن أن تنتظم في سياق.

---

(١) خليل عمايرة- في نحو اللّغة وتراكيبها، ص٤١.

(٢) خليل عمايرة- في نحو اللّغة وتراكيبها، ص٤١.

(٣) المرجع نفسه- ص٤١.

(٤) المرجع نفسه- ص٤١.

ويذهب (سوسير) إلى أنّ " النظام اللّغوي في جملته يمكن إيجازه وشرحه في إطار نظريّة العلاقات الأفقية والرأسية، وأنّ كل الوقائع التزامنيّة بهذا المعنى تتماثل تماثلاً جوهرياً "[١].

ويمكن تمثيل هذه العلاقة على النّحو الآتي:

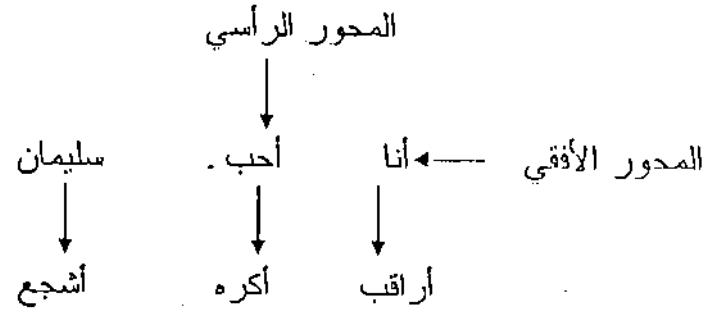

ويظهر من الشكل السّابق أنّ المعنى يتشكل بتقاطع المحورين الرأسي والأفقي وهكذا يمكن القول إن (سوسير) قد أولى عناية بالشكل فهو يرى أن " التركيب الداخلي (من صرفي ونحويّ) للغة أهم مميّزات البنية اللغويّة، وأنّ التوصل إلى القواعد التي تتحكمّ فيه أهم بمراحل من أيّ دراسة لغويّة أخرى"[٢] ثمّ إنّه يرى أنّ " العنصر اللغوي صيغة (Form) أكثر منه مادّة (Substance) وأنّ العلاقات التي أفردته عن العناصر الأخرى هي المحددة له "[٣].

وإذا كان النحو – من وجهة (سوسير) هو " العلم الذي يصف حالة اللّسان، فإنّ كلّ ما له صلة بحالة اللّسان، من صرف وتركيب ومعجم، ينبغي أن يرتبط بالمحورين

---

(١) جوناثان كلر– فرديناند دي سوسير أصول اللّسانيات الحديثة وعلم العلامات، ص٢٦.

(٢) نايف خرما– أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، ص١٠٧.

(٣) جوناثان كلر– فردبناند دي سوسير أصول اللّسانيات الحديثة وعلم العلامات، ص١٨.

الاستبدالي والسياقي"[١] فهما يشكلان الإطار النّظري والمنهجي الملائم لدراسة مختلف الوقائع النّحوية في تلازمها وارتباطها ببعضها.

وطالما أنّ الواقعة المعجميّة جزء من الدراسة النّحويّة فإن ثمّة ملمحاً وظيفيّاً عند (سوسير)، و"على هذا الأساس يصح القول إن المعنى والوظيفة لا يوجدان دون دعامة ماديّة"[٢].

ويتهيأ مزيد من النّظر الآنيّ المباشر من خلال (إدوارد سابير) (١٨٨٤- ١٩٣٣م) صاحب الوجهة الأنثربولوجية، فقد رأى أنّ: " فهم المجتمع يكون عن طريق الثقافة، وأنّ درس ثقافة ما لا يكون درساً علمياً إذا أغفلنا دراسة اللّغة"[٣].

ولعل المقاربة التي قدّمها (سابير) تشبه إلى حد كبير موازنة (سوسير) بين اللّغة والكلام، فاللّغة عند (سابير) هي "التنظيم المثاليّ الداخلي الذي يفرض على المتكلّم تصوراً ورؤية لما يحيط به في العالم الخارجيّ ... وأنّ الاختلاف في تصوّر الأفراد لما يحيط بهم من العالم حولهم مردّه إلى الاختلاف في اللغات التي يستعملونها". وقد عرفت هذه الفرضيّة باسم "النسبيّة اللغويّة"[٤] حاول فيها (سابير) وتلميذه (وورف) أنْ ينظّما العلاقة بين اللغة والفكر، فللُّغة تأثيرٌ كبير على الطريقة التي يفكرّ فيها أفراد المجتمع.

---

(١) حنون مبارك- مدخل للسانيات سوسير، ص١٢٨.

(٢) حنون مبارك- مدخل للسانيات سوسير، ص١٢٩.

(٣) عبده الرّاجحي- النّحو العربي والدرس الحديث، ص٣٢.

(٤) خليل عمايرة- في نحو اللغة وتراكيبها، ص٤٤.

يحصر (سابير) الشكل في النظم النّحوية من القواعد والقوانين التي تضبط تتابع المباني الصرفية (الكلمات) في الجملة، ورصد ما يجري على هذه المباني من تغيير في حروفها واشتقاقها وانتقالها من قسم صرفي إلى قسم صرفيّ آخر"[١].

لقد قررّ (سابير) أنّ الأشكال اللغويّة ينبغي أنْ تدرس بوصفها أشكالاً، وليس على أساس من المعاني، لأنّه يرى أنّ أهم خصائص اللغة هو اكتمالها الشكلانيّ "، لكنّ ذلك لا يعني دراسة التراكيب مستقلّة عما تؤديّه من وظيفة، فالجملة عنده " التعبير اللغوي عن قضيّة "[٢].

ويرى (سابير) كذلك أنّ دراسة الشكل اللغوي تقتضي ركنيْن ضروريين: أوّلهما التصوّرات الأساسيّة التي تؤّديها اللغة في الاتصال بين النّاس، وثانيهما الطرق الشكلانيّة التي ترتبط بها هذه التصوّرات ويقصد بها " العمليات النحويّة"[٣].

وبذلك يبدو لي أنّ (سابير) قد نزع إلى الاهتمام بـ"جوانب الشكلانيّة، في الوقت نفسه لم يتناسَ الدور الوظيفّي للتركيب.

مدرسة التحليل الشكلانيّ:

ويمثّل منهج التحليل إلى المكوّنات المباشرة (Immediate Constituent Analysis) أصلاً من أصول التحليل عند مدرسة التحليل الشكلانيّ، وقد وضع أسسه العالم الأمريكي (بلومفيلد) (١٨٨٧-١٩٤٩م)، وفيه يتمّ وضع التحليل النحوي في قالب شكلاني خالِص دون أيّ إشارة إلى المعنى.

---

(١) المرجع نفسه- ص٤٣.

(٢) عبده الرّاجحي- النحو العربي والدرسَ الحديث، ص٣٤.

(٣) المرجع نفسه- ص٣٦.

وينظر هذا المنهج إلى الجملة على أنّها " ليست خطّاً أفقيّاً من الكلمات، وإنمّا هي بناء يقوم على طبقات من المكوّنات المباشرة يعلو بعضها بعضاً، ومكوّن كل مستوى أدنى يكون جزءاً من مكونات مستوى أعلى"[١].

وقد ابتكر أصحاب هذا المنهج طرقاً لتمثيل التحليل التوزيعّي للجملة توزيعاً دقيقاً[٢] للوصول إلى المكونات المباشرة، منها طريقة التحليل الشجري، ومن أمثلة ذلك الجملة الآتية :

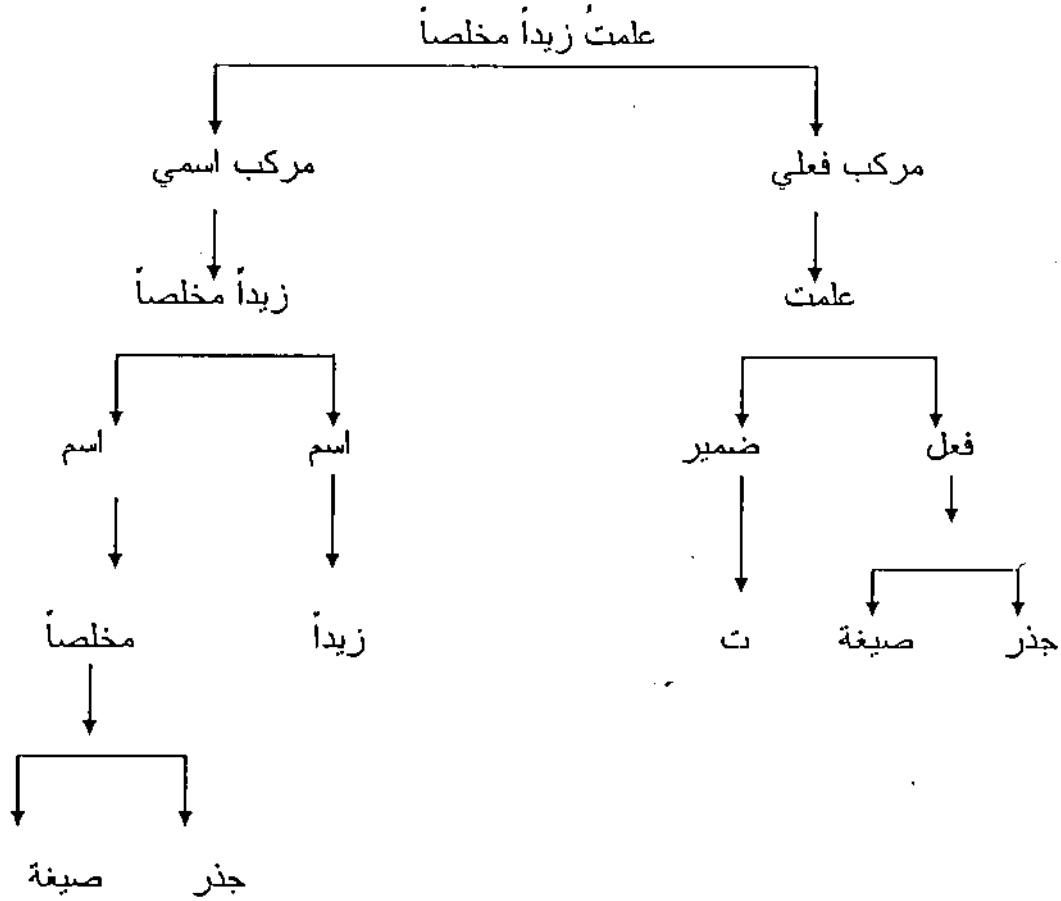

إن السّمة البارزة في هذا التحليل الشكلانيّ هي التقطيع الثنائي، وعلاوة على أنّه يدرك العلاقات القائمة بين المكوّنات المباشرة في الجملة، فيقسمها إلى قسمين[١]: علاقات

---

(١) فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيات، ص٣٥٤.

(٢) انظر أحمد قدور- مبادئ اللّسانيات، ص٢٤٩.

أفقيّة (Syntagmatic) وتتكون بين المورفيمات التي ترد معاً في جملة واحدة، وعلاقات رأسية (Paradigmatic) وتتكون بين المورفيمات التي يمكن أنْ يحل كل منها محل الآخر.

لقد أعلن (بلومفيلد) التزامه بالمذهب السلوكي إطاراً لدراسة اللّغة ووصفها رغبةً منه في تحقيق الموضوعيّة والصّرامة العلميّة"[٢]، وقد ترتبّ على ذلك:

أ- لم يدرس إلاّ الجانب الظاهر في اللغة بوصفه سلوكاً أو عادة مكتسبة، " وأنكر الحوافز الباطنية دعامة لتفسير السّلوك، ولم يتمسّك إلاّ بالخصائص الفيزيولوجية " ورفض بلومفيلد التقسيمات الثنائيّة من مثل: الشكل الداخلي والشكل الخارجي للّغة (لفون همبولت)، وثنائيّة (سوسير) اللغة والكلام التي لعبت دوراً مهماً في اللّسانيات التقليديّة في أوروبا"[٣].

وجعل الطريقة الملائمة لفهم القضايا اللّسانيّة قوامها " جمع عينّة من الكلام أو المنطوقات الأصليّة، ثمّ تقطيعها إلى مستويات مختلفة، فونولوجيّة وصرفيّة ونحْويّة، ثمّ تُصنّف وتُستخلص منها قوانين قواعد اللغّة مؤسسة على خصائص توزيعيّة أيْ " جميع المواقع التي يمكن أن تحتلّها الوحدات في نظام لغة معينّة"[٤].

ب- وكان من نتائج تبنّي (بلومفيلد) للمذهب السّلوكي أنْ أهملت دراسة المعنى، لأنّ الدلالة هي أقل جوانب علم اللغة خضوعاً للمعالجة العلميّة، ولا يمكن أنْ ترقى إلى درجة التحليل الشكلانيّ للمادة اللغويّة[٥].

---

(١) محمود نحلة- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص٣١.

(٢) انظر عبده الرّاجحي- النّحو العربي والدرس الحديث، ص٣٧.

(٣) فوزي الشايب- محاضرات في اللسانيات، ص٣٤٣.

(٤) المرجع نفسه- ص٣٤٣.

(٥) انظر ر.هـ. روبنز - موجز تاريخ علم اللّغة (في الغرب)، ص٣٤٢.

إنّ الوصول إلى المعنى يجب أنْ يشتمل – ومن وجهة النّظر السلوكيّة- على قدر كبير وغير محدود من المعرفة فوق اللغويّة، ولذلك قصروا فهمهم لقضيّة المعنى على "المقام الذي يقال فيه الكلام، والاستجابة التي يستدعيها من المستمع"[١].

إنّ وجهة النّظر السلوكيّة تكمن في أنّ احتواء جانب المعنى قد يتضمّن خطر "إفساح المجال لدخول المعايير الذاتيّة في التحليل. إنّ علينا أن نترك المعنى جانباً حين تكون مهمتنا تأسيسَ منهج لسانيّ"[٢] لكنّ ذلك لا يعني أبداً التقليل من دور المعنى والدلالة.

إنّ مدرسة (بلومفيلد) بعنايتها بتحليل المظاهر الفسيولوجيّة والفيزيقيّة خاصّة " قد وجهّت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير الكلام، وهي بذلك لا تتجاهل بعض ما نسمّيه العناصر الاجتماعيّة"[٣].

لقد أظهر هذا النّموذج نَوْعاً من الكفاءة والفاعليّة إلاّ أنّه اصطدم بمجموعة من الإشكاليّات أبرزها[٤]:

١. لم يستطع أن يبيّن لنا هذا المنهج كيف نبني جملاً جديدة.

٢. وقف نموذج المكوّنات المباشرة عاجزاً أمام بعض الجمل الملتبسة التي تحتمل أكثر من قراءة، مثل ذلك جملة، أنا أحمد المصطفى، فيمكن أن تقرأ على أنّ:

أ- أحمد فعل والمصطفى مفعول به.

ب- أحمد اسم والمصطفى نعت أو بدل.

---

(١) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص٢٩٥.

(٢) ميلكا إفيتش- اتجاهات البحث اللساني، ص٢٧٩.

(٣) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، ص٣٠٩.

(٤) انظر للتوسع: فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيات، ص٣٥٥-٣٦٠. ونايف خرما- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص٢٩٤.

في حين أنّ نموذج المكوّنات المباشرة لا يعطي سوى تحليل واحد هو:

أنا / أحمد / المصطفى

٣. إنّ هذا المنهج غير قادر على إبراز عدد كبير من العلاقات اللّغوية وتفسيرها، فهو يفشل في الربط بيْن الجمل المختلفة في السّطح، والمتفقة في العمق وبالعكس.

ومن أمثلة ذلك:

١. ضرب زيد ''عمراً.

٢. ضُرب عمرو (من زيد).

فعلى الرّغم من اتفاق الجملتيْن السّابقتين في العمق، إلاّ أنّ نموذج المكونات المباشرة يعطي لكل منهما تحليلاً مختلفاً لاختلاف البنية السطحيّة.

وقد يحدث العكس، فإنّ نموذج المكونات المباشرة يعطينا تحليلاً لجملتيْن لاتفاقهما في السطح بالرّغم من أنّهما مختلفتان في العمق مثل الجملتيْن:

١. دفع المال من زيد.

٢. سُرِق المال من زيد.

وتتجلّى أهميّة منهج التحليل إلى المكوّنات المباشرة في تبديد الغموض واللبس الذي قد يكتنف بعض التراكيب[١]. ومن ذلك جملة " التقيت كبار الرّجال والنّساء " فإنّها تشير إلى معنيين مختلفين يوضحّهما التحليل النّحوي وهما:

١. التقيت'(كبار الرّجال والنّساء).

٢. (التقيّت كبار الرجال) والنّساء.

---

(١) فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيات، ص٣٥١.

ويتيح منهج المكوّنات اختزال الجمل – وإنْ كانت معقدة – إلى أجزائها الرئيسيّة تبعاً للوظيفة النّحْوية، ويمكن توضيح ذلك بالطريقة التالية:

فعل	فاعل	مفعول
١. زار	زيد	البتراء
٢. زار	كثير من السيّاح	مدينة البتراء الجميلة

فالوظيفة النّحْوية التي يقوم بها " كثير من السيّاح " هي الوظيفة النّحْوية نفسها التي يقوم بها زيد".

وقد حقق منهج (بلومفيلد) نجاحاً في تعليم اللغات الأجنبيّة، إضافةً إلى توظيفه في خدمة الترجمة الآليّة[١].

أما (هلمسليف) (Hielmslev) مؤسس **مدرسة كوبنهاجن** فقد قدّم نظريتّه الدلالية في اللغّة " الجلوسيماتيّة " (Glossematics)، واعتمد في بناء أفكاره على أصلين استمدّهما من (سوسير) وهما[٢]:

١. اللّغة ليست مادّة، وإنّما هي صورة أو شكل.

٢. جميع اللغات تشترك في كونها تعبيراً ثمّ محتوى.

وتظهر شكلانيّة (هلمسليف) في عنايته بالصّورة أوْ الشكل؛ " فهي محل خلاف بين اللّغات، في حيّن " أنّ الدلالات أوْ المعاني هي أمر مشترك بينها "[٣].

---

(١) انظر نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص١١٢.

(٢) حلمي خليل- العربية وعلم اللغة البنيوي، ص١١٥.

(٣) المرجع نفسه- ص١١٥.

لقد درس (هلمسليف) العلاقات بيْن وحدات اللّغة للوصول إلى الأحكام والقوانين النّحْوية، وجعل ظهور عنصر لغوي رهناً بظهور عنصر لغوي آخر، وامتداد للنزعة الصورية، فقد امتازت هذه النظريّة بالدقّة الرياضيّة في التعبير عن العلاقات، وبالرّغم من ذلك فإنّها لم تقدّم إلاّ عدداً ضئيلاً من التطبيقات اللغويّة "[1].

---

(١) انظر محمود السّعران- علم اللّغة، ص٢٤٦.

تشومسكي والنّحو التوليدي التحويلي:

شكلّت مدرسة النّحو التوليديّ التحويليّ منهجاً متميّزاً بما قدّمته من أفكار ورؤى، حتّى عدها بعض الباحثين "أفضل نظريّة ظهرت حتّى الآن لوصف تركيب اللّغة الإنسانيّة وتفسيرها بطريقة منهجيّة"[١]، وأضحت كلّ مدرسة لغويّة تحدد موقعها أو موقفها بالنّظر إلى آراء (تشومسكي)"[٢].

ويمكن النّظر إلى أعمال (تشومسكي) بأنها امتداد لأعمال الوصفيين الشكلانيين، فقد عمل جاهداً على تقديم صياغات شكلانيّة تمتاز بالقوّة والإحكام للفرضيّات اللغويّة التي تشكلّ الأساس النّظري للعمل اللّغويّ، ولعلّ من أهم الجوانب النظريّة التي شارك فيها (تشومسكي) الوصفيين:

١. إمكانيّة فصل اللّغة عن مستخدميها بسهولة، وأنّها يمكن أنْ تكون قابلة لأنْ تتميزّ بكونها ذات صفة استقلاليّة وتشكّل نظاماً قائماً بذاته، ممّا يعني استبعاد كل ما يتعلّق بمستخدمي اللّغة من معرفة، واعتقادات، وقيم راسخة من ميدان البحث العلميّ اللغويّ.

٢. استبعاد المعنى، يقول (تشومسكي): " يعَدّ المعنى من المفاهيم التي يصعب التثبت من إطارها الكلّي، أو تحديدها بدقة، فإذا استطعنا أن نوضّح بأنّ المعنى والمفاهيم الأخرى ذات الصِّلة تلعب، دون شك، دوراً مركزياً في التحليل اللّغويّ، فعند ذلك تصبح نتائج

---

(1) جون ليونز- نظرية تشومسكي اللغوية، ص٣٢.

(2) المرجع السابق- ص٢٩.

التحليل والاستنتاجات التي يمكن استخلاصها خاضعة لكل أنواع الشكّ والغموض التي يمكن أنْ توجّه ضربة قاصمة للأسس التي تقوم عليها النظرية اللغويّة"[١].

٣. إنه امتدادٌ لتراث الوصفيين؛ فقدْ اعتمد (تشومسكي) في التحليل اللّغوي على توزيع الصّيغ بدلاً من التفكير بالمعنى.

لقد وجّه (تشومسكي) عنايته القصوى لدراسة التراكيب والجمل. إذ إنّ علم التركيب يستطيع النفاذ إلى محرّكات الكلام، لأنّه قائم على دراسة صياغة الجمل وعلاقاتها بالجمل الأخرى"[٢] وأخذت البنية اللغويّة بعضاً من الأسبقيّة على دراسة المعنى، بمعنىّ أنها مطلب ضروري لتوضيح المعنى، ولمّا كان من غير الممكن أن يتمخض عن دراسة المعنى إيجاد مجموعة من العوامل الأوّلية التي يمكن أن تحتاجها النظريّة الشكلانيّة، في حين يمكن أن يعبّر عن النّحو بمجموعة من الرّموز، كانت هناك ضرورة نظريّة لإعطاء علم النّحو هذا البروز في إطار هذه النّظريّة، وهو بذلك قَلّلَ من دور الجوانب الدلاليّة في اللّغة، تلك الجوانب التي تتّسم بكونها أكثر أهميّة ومركزيّة في اللّغة المستخدمة من مثل: دور مستخدم اللّغة، والمعنى، والتنغيم .. بحجّة عدم إمكانية اختزالها في إطار نظرية شكلانيّة[٣].

---

(١) انظر تيسرينس موور وكريستين كارلنغ- فهم اللّغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ص٦١، ص٦٦.

(٢) عبد السّلام المسدّي- اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ص١٤٥.

(٣) انظر تيريس موور- فهم اللّغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ص٩٢.

وقدّم (تشومسكي) مفهوماً جديداً للنّحو، " فهو وسيلة لتوليد جميع الجمل الصحيحة، للغة معّينة"[١] بعد أن كان " علماً تصنيفياً غايته ضبط الصّيغ الأساسيّة في اللّغة حسب درجة التواتر لا غير"[٢]، لقد رأى (تشومسكي) أن هذا الاتجاه الشكلاني " قاصرٍ عن النفاذ إلى محرّكات الظاهرة اللغويّة في أبعد أغوارها"[٣].

واللّغة عند (تشومسكي) " ملكة فطريّة تكتسب بالحدس (Intution)[٤]، والحدس " يشكّل دليلاً مستقلاً وأصليّاً في الحكم على الجمل"[٥]، إلاّ أنّ (تشومسكي) قد جعل هذا الحدس خاصّاً بالشكل النّحْوي، دونَ أنْ يتعلّق بأيّ اعتبارات تتعلّق بالمعنى.

ركزت مدرسة (تشومسكي) على الكفاية " فالبحث في الأداء لا يمكن أنّ يتقدّم إلاّ بقدر يسمح به فهمنا للكفاية الكامنة تحته"[٦]، "فالتشابه السطحيّ بين التراكيب قد يخفي فروقاً تحتيّة ذات طبيعة أساسيّة "[٧]. فالكفاية تسبق الأداء وهي التي تولّده.

وعلى كلّ فقد كان ظهور مفهوم الكفاية " حدثاً مهّماً " من وجهة نظر معرفيّة لأنّه كان رداً على النزعة الشكلانيّة والبلومفيلديّة التي كانت مسيطرة في محيط وزمن كان فيه شيئاً معيباً القبول بوجود أيّ شيء مجرّد في المخ حينما يكون مركز علميّة لغويّة "[٨].

---

(١) انظر نعوم تشومسكي- جوانب من نظرية النحو، ص٣٩.

(٢)عبد السلام المسدي- التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص١٩.

(٣) المرجع نفسه- ص١٩.

(٤) عبد السّلام المسدّي- اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ص١٤٦.

(٥) جون ليونز- نظرية تشومسكي اللغوية، ص٧٩.

(٦) نعوم تشومسكي- جوانب من نظرية النّحو، ص٣٣.

(٧) المرجع نفسه- ص٤٧.

(٨) جورج مونان- علم اللغة في القرن العشرين، ص٢٠٤.

وقد بيّن (تشومسكي) أنّ هناك معايير لغويّة يمكنها تحديد ما هو لغويّ في مجتمع من المجتمعات، من هذه المعايير اللغويّة[١]:

١. معيار الصّحة النحويّة (Grammaticality).

٢. معيار المقبوليّة (Acceptability) ويعني به " تلك الجمل التي يكون إنتاجها أكثر احتمالاً من إنتاج غيْرها، وفهمها أكثر سهولة، ووصفها أكثر طبيعة وإتقاناً بشكل من الأشكال ". وتم ربط معيار المقبوليّة بالأداء اللّغوي والعرف اللّغوي، في حين ربط معيار النّحْويّة بالكفاية.

لقد طرح (تشومسكي) تساؤلاً مفاده[٢]: هل الجملة يجب أنْ يكون لها معنى لتقع ضمن مجموعة الجمل المقبولة من الناحيّة النّحْويّة؟ وضرب مثلاً بالجملة المشهورة:

Colorless Green ideas sleep furiously

تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون بشكل مهتاج

إنّ هذه الجملة صحيحة من النّاحية النّحْويّة لكنّها فارغة المعنى، ممّا قاد (تشومسكي) إلى القول إنّ القضيّة النحوية يجب أن تكون مستقلة عن موضوع الدلالة وخلص إلى " أنّ أيّ تعريف للقواعديّة يعتمد على الدّلالة، يكون عقيماً"[٣].

لقد عبر (تشومسكي) بمصطلح الكفاية (competence) عن هذه المعرفة اللغويّة الكامنة، ووصف من يمتلكها بأنّه "متكلم، مصغٍ مثاليّ، في جماعة متجانسة تماماً تتكلم لغة معينّة، ويكون على علم تام بلغتها "؛ ورأى أنّ هذه المعرفة اللغويّة يمكن أنّ تتخذ شكل

---

(١) انظر لعوم تشومسكي- جوانب من نظرية النّحو، ص٣٣-٣٤.

(٢) لعوم تشومسكي- البنى النّحوية، ص١٥.

(٣) المرجع نفسه- ص٢٢.

نظم قواعد توليديّة تمّ كتابتها بلغة رياضيّة صرفة[١]. وعلى هذه القواعد التوليديّة أنّ تكون ذات كفاية وصفية فتصف المعرفة الضمنية للمتكلم الأصيل، ... وتكون ذات كفاية تفسيريّة من حيث إنّ النظرية اللغويّة التي ترتبط بها تنتقي هذه القواعد من بيْن القواعد الأخرى"[٢].

لقد أثار مفهوم الكفاية إشكالاً، إذ لا توجد جماعة لغويّة متجانسة، بسبب التّنوع في المعرفة والتجربة بيْن أبناء المجتمع، فاللّغة تتّسم بالفاعليّة والتغّير المستمرّيْن، وتستخدم لأغراض متعددة، ثمّ إنّ (تشومسكي) فصل بيْن المعرفة اللغويّة وبيْن أنواع المعارف الأخرى التي يشتمل عليْها استخدامنا للّغة[٣].

فَرّق (تشومسكي) بيْن مصطلح الكفاية الذي يشير إلى معرفة المتكلّم – السّامع للّغته[٤] "ومصطلح الأداء الذي يشير إلى "استعمال اللّغة في مواقف معيّنة"[٥]، ولَعَلّ في ذلك تناظراً مع مصطلحيّ (اللّغة والكلام) عند (سوسير) بالرّغم من وجود بعض الفروق الدقيقة؛ فالكفاية "هذه التسمية التي اقترحها (تشومسكي) تعَدّ مسألة نفسيّة، اللّغة الفرديّة تعَدّ أساسيّة... إن لغة مجموعة كبيرة أو أمّة تعدّ فكرة أو مفهوماً ثانوياً" أمّا بالنسبة (لسوسير) فالعكس هو الصحيح، فاللّغة لا تتحقق بشكل كامل إلاّ من خلال الجماعيّة (Collectivity)[٦].

---

(١) انظر تيريلس موور– فهم اللغة ، نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ص٥٧.

(٢) نعوم تشومسكي– جوانب من نظرية النّحو، ص٤٩.

(٣) انظر تيريلس موور– فهم اللغة، نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ص٩٤، ص٩٧.

(٤) نعوم تشومسكي– جوانب من نظرية النّحو، ص٢٨.

(٥) المرجع نفسه– ص٢٨.

(٦) جيفري سامبسون– المدارس اللّغوية، التطوّر والصّراع، ص٥١.

إلا أن تشومسكي تبنى منهجاً افتراضياً استدلالياً بديلاً عن الإطار الاستقرائي الوضعيّ السائد آنذاك في البحث العلميّ، فقد اتسّمت نظريّته اللغويّة بالقدرة الإيضاحية التفسيريّة، إنها " نظريّة ذهنية (mentalistic)؛ لأنها تختص باكتشاف الحقيقة العقلية الكامنة وراء السّلوك"[١] وتسعى إلى تفسير النشاط اللّغوي. فاللّغة تمدّنا بوساطة للتعبير عن أفكار غير محدودة للتصرّف بشكل مناسب في مواقف غير محدودة[٢] وهو ما دعاه بالجانب الخلاّق في اللّغة.

ولَعلّ الجوهر الفلسفيّ للمذهب العقليّ أو الذهنيّ الذي تبنّاه (تشومسكي)، يتجسّد بالفكرة القائلة إنّ المعرفة موجودة فينا منذ البداية[٣]، فعلى الرّغم من تباين اللّغة وتعقّدها، فإنّ أيّ طفل عاديّ يستطيع أن يتعلّم أيّ لغة يحتك بها في محيطه اللّسانيّ " فالمعرفة تتكون من إيقاظ القوى الفاعلة والداخليّة للعقل الذي يمارس فاعليتّه الخاصّة به"[٤] فنحن مزودون على نحوٍ وراثي بجهاز اكتساب اللّغة (Language Acquisition Device) (LAD)[٥] ، ممّا يعني أنّ كل المخلوقات البشريّة تشترك في بنية معرفيّة نسمّيها بالملكة اللغويّة، و"هذه الملكة ما هي إلاّ نسق كليّ للتمثّل الذهنيّ للغّة. وهدف النظرية اللّسانيّة أنْ تكشف عن هذا النسق أوْ النّحو الكليّ (Universal Grammar)[٦].

---

(1) نعوم تشومسكي- جوانب من نظريّة النّحو، ص٢٨.

(2) المرجع نفسه- ص٢٩.

(3) انظر للتوسّع: بنكيران أحمد الطيب- الخلفيّة الفلسفيّة في النظريّة التوليديّة، ص٤٥.

(4) تشومسكي- محاضرات ودن، تأملات في اللّغة، ص١٧.

(5) نعوم تشومسكي- المعرفة اللّغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص٥٣.

(6) عبد القادر الفاسي الفهري- اللّسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلاليّة، ج١، ص٤٢.

جعل (تشومسكي) المهمة الرئيسية للنظريّة اللغويّة " تطوير وصف لعموميات لغويّة لا يمكن من جهة أنْ تدحض بواسطة تنوعّ اللّغات الفعليّ"[١] ولعلّ محاولة (تشومسكي) في تعيين الصّفات والخصائص العامة لهذه النظرية اللغويّة جعلت أعماله تتّسم بالتجريد النظريّ، والإغراق في الشكلانيّة، دون أنْ يسعى إلى تقديم مسّوغات ومبرّرات لنظريّته خارج إطار البنية.

لقد مرت نظرية (تشومسكي) بمراحل تطّوريّة استخدم فيها عدة طرائق في التحليل النّحْوي:

أ- نموذج قواعد الحالة المحدودة (Finite State Grammar):-

ويُعدّ أبسط النماذج التي طرحها (تشومسكي) في كتابه البنى النّحْوية ١٩٥٧م[٢]، وفيه تولّد الجمل عن طريق سلسلة من الاختيارات المتعاقبة، فالعنصر الأوّل يحدد العنصر التالي فنقول: الطّالب الذكيّ محبوب بين زملائه:

مذكر مذكر مذكر مذكر

فلو غيرّنا لزم أنْ تتغير الكلمات لتنسجم مع البداية كالتّالي:

الطالبة الذكيّة محبوبة بيْن زميلاتها

مؤنث مؤنث مؤنث مؤنث

أي أنّ الجمل بحسب هذا النموذج تتمثّل في مستويين:

أ-المستوى التركيبي (Syntactic Level): وهو عبارة عن تعاقب مجموعة من الكلمات.

---

(١) نعوم تشومسكي- جوانب من نظرية النحو، ص٥٠.

(٢) انظر نعوم تشومسكي- البنى النّحويّة، ص٢٨.

ب-المستوى الفونولوجي(Phonological Level): وهو عبارة عن تتابع مجموعة من الفونيمات.

وعلى ذلك بنى (تشومسكي) التعريف التالي: " إنّ كل سلسلة مكوّنة من مجموعة من الكلمات المتعاقبة، هي عبارة عن جمل مختلفة عن أيّ سلسلة أخرى شريطة أنْ تكون صحيحة البناء"(١).

لقد أظهر هذا النموذج عدّة مشكلات، فلو تناولنا جملة أكثر تعقيداً مثل:

الرّجل الذي يقود السيّارة يعمل في الجامعة

فإنّ السيارة لا تستدعي الفعل "يعمل" بعدها، وبذلك فإنّ هذا النموذج قاصر عن إنتاج عدد غير محدود من الجمل، ثمّ إنّ هذا النموذج " قد ينتج كثيراً من الجمل غير القواعديّة"(٢).

لقد جاء هذا النموذج موافقاً لرؤية (تشومسكي) في استقلال العمليّة النّحويّة عن العمليّة الدلاليّة، انطلاقاً من أنّ " النظريّات الدلاليّة ليست نظريّات تامّة مضبوطة ودقيقة"(٣).

لقد تناسى (تشومسكي) أنّ ربط الكلمات بفصائلها النّحوية يقود بالضرورة إلى الاهتمام بالاعتبارات الخاصّة بالمعنى.

٢. نموذج قواعد بنية العبارة (Phrase Structure Grammar):

وهو نموذج يسعى إلى " الوقوف على المكوّنات المجرّدة التي تتفق فيها اللّغات

---

(١) جون ليونز- نظرية تشومسكي اللّغوية، ص٩٨.

(٢) نعوم تشومسكي- البنى النّحويّة، ص٣٢.

(٣) المرجع نفسه - ص١٢٩-١٣٢.

المختلفة[١] "مستثمراً منهج (بلومفيلد) في التحليل إلى المكوّنات المباشرة، إذ أخذ هذا النموذج على عاتقه " تحديد طبيعة العناصر وعلاقاتها التوزيعيّة ببعضها"[٢].

وجاء هذا النموذج انطلاقاً من رفض (تشومسكي) لمفهوم عيّنة البحث اللّغوي[٣]، لأنها لا تتمتّع بقدر مُرْضٍ من الكفاية العلميّة، بوصفها غير معبّرة عن اللّغة، واستبدلها بمجموعة من القوانين الشكلانيّة[٤] كما هي تظهر في هذا النموذج:

١. الجملة ← مركب اسمي + مركب فعليّ.

المجاهد قاوم الأعداء ← المجاهد + قاوم الأعداء.

٢. المركّب الأسميّ ← أداة التعريف + اسم.

المجاهد ← أل + مجاهد.

٣. المركّب الفعليّ ← الفعل + المركّب الاسميّ

قاوم الأعداء ← قاوم + الأعداء.

٤. أداة التعريف ← أل.

٥. الاسم ← أعداء.

٦. الفعل ← قاوم.

---

(١) نعوم تشومسكي- البنى النحوية، ص٣٧.

(٢) ر.هـ. روبنز- موجز تاريخ علم اللّغة (في الغرب)، ص٣٥٨.

(٣) تيرينرينس موور- فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ص١٠٦.

(٤) انظر نعوم تشومسكي- جوانب من نظرية النّحو، ص٩٤.

ويمكن استخدام مخطط الشجرة لتحليل الجملة إلى عناصرها:

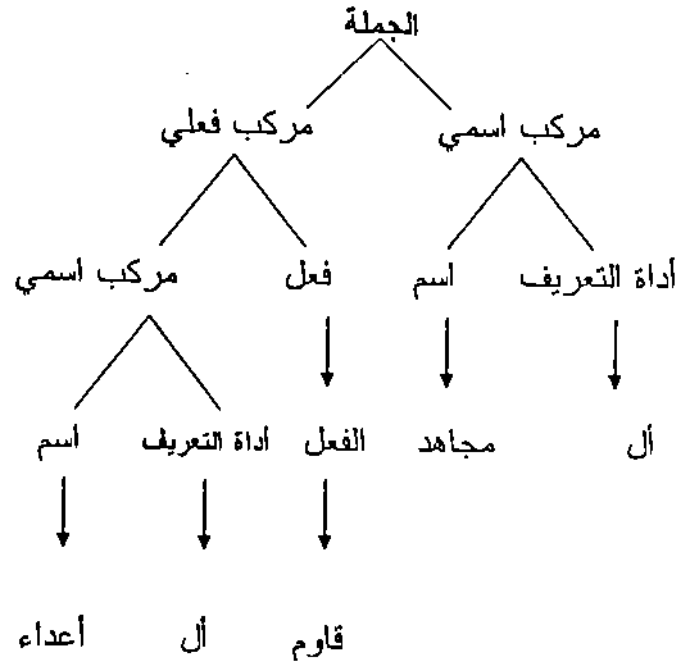

وبالرغم من أنّ هذا النموذج كان أكثر " إقناعاً من سابقه، إلاّ أنّه لم يقدّم تحليلاً دقيقاً لعدد كبيرٍ من الجمل التي يكون فيها اللّبس نتيجة التداخل بين الجملتين"[1].

مثال: قابلت عشرين طالباً وطالبة.

فهل قابل المتحدث عدداً مجموعه عشرون، أم هو واحد وعشرون، وبذلك وقف هذا النموذج عاجزاً عن تحليل الجمل الغامضة بسبب ارتباطه بالمبنى دون المعنى.

لقد وجّه (تشومسكي) سهام النّقد للمناهج السلوكيّة والوصفيّة في تناولها للجانب الإبداعيّ في اللغة؛ فالمرء يستطيع استخدام العديد من الجمل وفهمها دون أن يكون لهذه الجمل صلة بتجاربه الحياتيّة، فالاستجابات اللغويّة قد ترتبط بالحوافز ولكنّها لا تخضع لها، مما يعني انتفاء العلاقة بين الجمل وبين المعنى، ممّا قاده إلى القول إنّ

---

(١) خليل عمايرة- في نحو اللغة وتراكيبها، ص٦٤.

العمليّات الإبداعية محددة بالشكل النّحويّ[١].

إنّ تأكيد (تشومسكي) على أهمية الشكل أدّى إلى[٢]:

أ- الاستبعاد الكلّي للمعنى؛ لأنّ الشكل النّحوي ذو سمة اختزاليّة، فهو يخلو من الإشارة إلى المعرفة اللغويّة، ونوايا مستخدمي اللغة واعتقاداتهم وتوقعاتهم.

ب- إنّ هذه الإمكانات التعبيريّة المتاحة في اللّغات الرمزيّة غير ممكنة الحدوث في اللّغات الطبيعيّة.

ج- لم توضح القواعد الشكلانيّة طبيعة العلاقات بين الأبنية المختلفة، من أجل توضيح هذه العلاقات طوّر تشومسكي نموذج القواعد التحويليّة.

نموذج القواعد التحويليّة (Transformational Grammar (TG)):

يعتمد هذا النموذج على تطبيق قواعد بنية العبارة بعد تطويرها، بقصد سدّ النقص في النموذج التالي، وإفساح مجال أكبر من الاختيارات، فاهتّم في هذا النموذج " بالعدد، والزّمن، وبالأسماء، وبالأفعال التامّة والناقصة ...." كما يتبيّن في القواعد التالية[٣]:

١- الجملة ⟵ مركّب اسميّ + مركب فعليّ

٢- المركّب الفعليّ ⟵ فعل + مركّب اسميّ

٣- المركّب الاسميّ ⟵ مركّب اسميّ (مفرد)

⟵ مركّب اسميّ (جمع)

٤- مركّب اسميّ مفرد ⟵ أداة تعريف + اسم

---

(١) انظر تيرينس موور- فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة شومسكي،ص١٤٢.

(٢) انظر المرجع نفسه- ص٧٨، ص٩٠.

(٣) نعوم تشومسكي- جوانب من نظريّة النّحو، ص١٢١.

٥- مركّب اسميّ جمع ←—— أداة تعريف + اسم + جمع

٦- أداة التعريف ←—— ال

٧- الاسم ←———— (رجل، كرة، باب، ...)

٨- الفعل ←———— فعل مساعد + فعل

٩- الفعل ←———— (ضرب ، أكل ، أخذ،...)

١٠- زمن الفعل ←—— مضارع، ماض

١١- صيغ الفعل ←—— فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ

وبعد تطبيق قواعد بنية العبارة يجري عليها تحويلات إجباريّة يتحقق بها عنصر النحوية للجملة، أو تحويلات اختيارية تحوّل السلاسل النهائيّة من البنية العميقة (Deep Structure) إلى البنية السطحيّة (Surface Structure) ذات صورة صوتيّة، ومن أهم هذه التحويلات:

١- الحذف (Deletion) ←—— س + ع ——→س أو ع[1]

٢- الإحلال (Replacement) س ←—— ع

٣- التوسّع (Expansion) س ←———— س + ع

٤- الاختصار (Reduction) س+ ع ←—— ص

٥- الزّيادة (Addition) س ←—— ص + ع

٦- إعادة الترتيب (Permutation) س + ع ←—— ع + س

---

(١) تشير س،ص، ع إلى مكوّنات مجرّدة لأيّ جملة نحوية.

فإذ طبقنا القواعد التحويليّة الوجوبيّة فإنّ الناتج سيكون كلاماً أساسيّاً (Kernel) يتّصف بأنّه " بسيط ، وتام، وصريح، ومعلوم، ومثبت"(١)، إمّا إذا طبقنا القواعد التحويليّة الوجوبيّة والجوازية فينتج عن ذلك كلام مشتق (Non-Kernel Sentences) يتّصف بأنّه معطوف، غير تام، أو معقّد، أو استفهام، أو أمر، أو منفيّ(٢).

ويعمل المكوّن (الصرفي- الصّوتي) على تحويل الصورة التركيبيّة للجملة حين برزت على هيئة سلسلة من المورفيمات الحرة أو المقيدة إلى الصورة الصوتيّة"(٣)، وبذلك انتهى (تشومسكي) إلى أنّ عمليّة إنتاج الجملة تتمثل في الشكل التّالي(٤):

العناصر الأوّليّة ← قواعد بنية العبارة ← التحويلات ← الجمل النواة(٥) ← المكوّن الفونولوجي

والجمل غير النّواة

إجبارية اختيارية

من خلال فهم النموذج السّابق " فإنّ قواعد التحويل عندما تتدخّل فلا حول لها ولا قوّة على المعاني، بما أنّ هذه المعاني قد حددت بعد، وكذلك إنّ البنية السطحيّة بدورها عاجزة عن أن تمتدّ يدها إلى المعاني، وإنّ وظيفتها تقتصر على صرف النظم أو المجاميع النهائيّة بعد إعجامها إلى صوتيّات ملائمة"(٦).

---

(١) مازن الوعر- قضايا أساسيّة في علم اللّسانيات الحديث، ص١٤٠.

(٢) المرجع السّابق- ص١٤٣.

(٣) أحمد قدور- مبادئ اللّسانيات، ص٢٦٣.

(٤) فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيات، ص٣٩٤.

(٥) يقصد بالجمل النواة عند تشومسكي تلك التي نحصل عليها بعد تطبيق التحويلات الإجباريّة، أمّا الجمل غير النّواة فتتكون بعد تطبيق التحويلات الإجبارية والاختيارية.

(٦) صالح الكشو- مدخل في اللّسانيات، ص١٤٠.

وبالرّغم من أنّ النموذج يعكس مركزيّة المكوّن النّحوي عند تشومسكي، فالنّحو عنده " نظام من القواعد يربط معنى كل جملة يولّدها بالتمثيل الفيزيقي لها بالأصوات"(١)؛ إلاّ أنّه فسّر تفسيراً دلالياً أيضاً، " وهذا بالطبع ردّة فكريّة لسانيّة إلى التحليل اللّسانيّ القائم على معيارين لغويين وهما: المعيار الشكلاني (النّحوي)، والمعيار الدلاليّ (المعنويّ) وذلك ضرورة تحليليّة لأية بنيّة لغويّة عالميّة"(٢).

إنّ إدخال عنصر المعنى في استنباط القواعد اللغويّة يُعَدّ مناقضاً تماماً لما كان الحال عليه عند أنصار المدرسة الوصفيّة الشكلانيّة التي استبعدت المعنى استبعاداً كاملاً لأنّه ليس من اختصاص أهل اللّغة.

في عام ١٩٦٥ قدّم (تشومسكي) نظريّة أنضج عُرفت بالنظريّة النموذجيّة أو المعياريّة (Standard theory)، حاول فيها أن يسدّ الفجوة الدلاليّة في منهج البنى التركيبيّة ، بعد أن دعا (كاتز) و(فودر) إلى اتّحاد النّحو والدلالة، ثُمّ صقلت هذه المقترحات ووسّعت من قبل (كاتز) و(بوستال).

وفي هذا النموذج تتمّ عمليّة إنتاج الجملة حصيلة التفاعل بين المكوّن الأساسيّ والمكوّن التحويلي ، ضمن ما دُعي بالمكوّن التركيبيّ، عبر المراحل التالية(٣):

١-يولّد المكوّن التركيبي بدءاً من المستوى التوليدي أو الأساسيّ البنية العميقة للجملة، آخذاً في الاعتبار القواعد المعجميّة.

---

(١) عبده الرّاجحي- النّحو العربي والدرس الحديث، ص١٣٩.

(٢) مازن الوعر- قضايا أساسيّة في علم اللّسانيات الحديث، ص١٠٤.

(٣) انظر نعوم تشومسكي- جوانب من نظرية النّحو، ص٣٩.

٢-يحوّل هذا المكوّن في المستوى التحويلي هذه البنية العميقة إلى بنية سطحيّة، فغدت التحويلات بذلك إجباريّة .

٣-يعطي المكوّن الدلالي التفسيرات الدلاليّة للبنى العميقة، من خلال جمع معاني الأركان اللغويّة بالبنية التركيبيّة، عبر قواعد الإسقاط الجامعة بين التمثيل الركني للتركيب، والتمثيل الدلالي للمفردات.

٤-يقدّم المكوّن الصوّتي تمثيل الجملة في بنيتها السطحيّة، من خلال القواعد الصوتيّة المتعارف عليها ويقدّم الرّسم التالي صورة للنظريّة تبيّن أهم مكوّناتها:

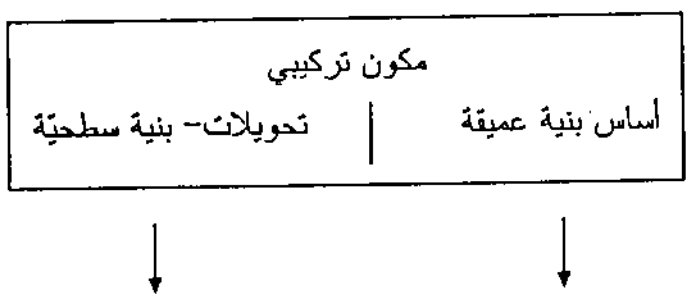

النظريّة النموذجيّة الموسّعة (EST):

ظلّت علاقة النّحو بالدلالة علاقة جدليّة، حتى إنّ (تشومسكي) اعتبر أنّه " ليس ثمّة جانب من الدّراسات اللّسانيّة أكثر عرضة للخلط، وأكثر حاجة للصيّاغة الواضحة والدقيقة من ذلك الجانب الذي يتعامل مع نقاط الارتباط بين النّحو والدلالة"[١].

ولعلّ أوّل تحدٍّ واجه نظريّة (تشومسكي) جاء من علم الدلالة التوليدي (Generative Semantics)، الذين شككّوا في " صلاحيّة التمييز بين البنية العميقة والبنية الدلاليّة،

---

(١) نعوم تشومسكي- البنى النّحوية، ص١٢٣.

وأصرّت في المقابل على أنّه إذا كانت هناك بنية عميقة، فهي حتماً أعمق بكثير إلى الحدّ الذي يجعلها وافية بالمراد دلاليّاً"[١].

وقد تبنّت هذه الدراسة نموذجاً قائماً على أسس دلاليّة لا نحويّة كما يظهر في الرسم التالي:

التفسير الدلالي ← قواعد تحويليّة ← بنية سطحيّة ← قواعد فونولوجيّة ← تمثيل صوتي ← تمثيل دلالي / تمثيل صوتي

وكما يظهر من النموذج السّابق فإنّه ليس ثمّة مكان للبنية العميقة، إنّ النموذج (التشومسكي) يكرّس استقلاليّة النّحو، بينما لا يقرّ هذا النموذج بالفصل بين النّحو والدلالة، بل تعد الدلالة سابقة للنّحو.

إنّ ذلك العصف الذهني حوّل أفكار (تشومسكي) ونظريّاته، جعله يقدّم النظرية النموذجيّة الموسّعة، ولعلّ التطوّر الجوهري فيها أنّه جعل التفسير الدلالي لجملة ما مقرراً عن طريق بنيتها العميقة وبنيتها السطحية معاً"[٢].

ويعبّر الرّسم الآتي عن الشكل الذي اتخذته النظريّة المعياريّة الموسّعة:

مكوّن أساسي ← بنية عميقة ← تحويلات ← بنية سطحية ← تمثيل دلالي / تمثيل صوتي

وفي هذا النموذج اقتصر دور البنية العميقة على الاعتناء بالعلاقات النّحوية.

---

(١) فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيات، ص٤٠٢.

(٢) مازن الوعر- نحو نظرية لسانية عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللّغة العربيّة، ص٦٤.

وهكذا نجد أنّ الاعتبارات الخاصّة بالمعنى قد أدت دوراً متصاعداً في نظريّة (تشومسكي) اللغويّة، وبالرغم من أنّ (تشومسكي) قد جعل من الأساس الشكلانيّ المحض الركيزة الثابتة والمثمرة لبناء نظرية القواعد، إلاّ أنّه أراد من الإطار النّحوي دعم الوصف الدلاليّ، فهو يرى " أنّ مبادئ النّحو وقواعده هي الوسائل التي بوساطتها تتهيأ أشكال اللّغة لأن تتطابق مع أشكال الفكر"[١].

وقد عبّر (تشومسكي) عن طموحه للخلوص إلى نظرية أشمل للّغة، تضمّ نظريّة الشكل اللّغوي، ونظرية استخدام اللّغة.

---

(١) نعوم تشومسكي- المعرفة اللغوية، تطبيقها وأصولها واستخدامها، ص٥١.

المبحث الثاني:الاتجاه الوظيفي:

الوظيفيّة "نظرية في اللّغة تعطي جُلّ عنايتها لوظائف المكوّنات لا الشكل داخل الجملة"(١)، مستندة إلى البعد التداوليّ للّغة، مبرزة القيمة الاتصاليّة لها؛ إذ يقوم النّحو الوظيفي على النّظر في "طرق صوغ التجربة الدلاليّة عند المتكلّم استناداً إلى المعطيات والإجراءات النّحويّة التي يتوفّر عليها علم التركيب في اللّغة المدروسة لتحقيق الإبلاغ في صورة العلاقات بين المركبات النّحويّة"(٢).

ولَعَلّ تزاوج العمل الصوريّ بالتحليل النّحوي القائم على الخلفيّات الدلاليّة هو الذي ولّد المفهوم الوظائفي للدراسة النّحويّة"(٣). فلا يمكن أن تعزل الظواهر عن مقاماتها الاجتماعية ولا عن دلالاتها الاجتماعيّة.

وبالرّغم من تنوّع الاتجاهات الوظيفيّة إلاّ أنها " تشترك في التوسّع في التحليل إلى ما وراء حدود النّظر اللغوي الذاتيّ الخالص، وتعوّل على عناصر إضافيّة، ومتغيّرات خارجيّة تلابس المادّة اللّغويّة الخالصة"(٤).وفي ذلك تتمايز الوظيفية عن البنيويّة التي ترى أنّ البنى اللّغويّة ينبغي أن تدرس بوصفها ماهيّة قائمة بذاتها.

---

(١) A Djctionary of language and linguistics, R.P.K. Hartman Great Britain, Galliard Limited, p.٩١.

(٢) المنصف عاشور- نظرية العامل ودراسة التركيب، ص٦٧.

(٣) عبد السّلام المسدّي- اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ص١٥٠.

(٤) نهاد الموسى- نظرية النحو العربي، ص٩٠.

وقد جاء هذا المنهج استدراكاً على منهج التحويل الذي "جعل النّحو عملية ميكانيكية تتحقق عناصرُه بشكل آليّ حينما نتبع القواعد الموضوعة لابتداء تلك العمليّة، ولم يعطِ المنهج أيّ تسويغ وظيفيّ لحدوث التحويلات في مراحل مختلفة من توليد الجملة، وأخرج من الاعتبار الظروف النفسيّة التي يكون فيها المتكلّم، كما أهملت إهمالاً تاماً مسألة السّياق الذي يقع فيه الكلام، واعتبرت اللّغة مجرّد نشاطٍ عقليّ"(١).

ويربط الاتجاه الوظيفيّ بين " النّظام اللُّغويّ، وكيفيّة توظيف هذا النّظام لأداء المعاني"(٢)، فاللغة من هذا المنظور وسيلة للتواصل الاجتماعيّ، فهي لا تنفكّ عن المجتمع وعلاقاته الثقافيّة كالتراث والتقاليد والأعراف، فالمعطيات الاجتماعيّة المتنوّعة تفرضُ على المتكلّم سلوكاً لغويّاً معيّناً، ممّا يرتّب على المتكلّم معرفة القوانين والأعراف المتحكمة في الاستعمال الملائم للّغة في مواقف اجتماعيّة معيّنة إضافة إلى المعرفة اللّغوية. ومن أمثلة ذلك إذا قُلنا:

١- قرأ عليٌّ الصحيفةَ.

٢- قرأ الصحيفةَ عليٌّ.

٣- الصحيفةَ قرأ عليٌّ.

٤- الصحيفةُ قرأها عليّ.

فإنّ هذه الجمل خيارات متعددة أمام المتكلّم تركّزُ على جانبٍ من الحدث، ممّا يجعل كُلّ واحدةٍ منها "قوة تعبيريّة متميّزة مستمدّة من الدور الذي يؤدّيه كل أسلوب في الحياة

---

(١) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، ص٧٠.

(٢) المرجع نفسه- ص٧١.

الاجتماعيّة"[١]. فالوظيفيّون ينظرون إلى التراكيب السّابقة " كمفاهيم أولى (Primitives) أي أنّها تولد في المواقع المحددة لها، فهي ليست مشتقة من بنيات أخرى-كما يرى التحويليّون – بالنّقل أو التقديم أو التأخير أو غير ذلك"[٢].

وبذلك تحقق دراسة التراكيب، في إطار محيطها اللّغوي، المرجوّ منها في التعبير والتواصل، وتفرّق بين الأداءات المختلفة عن بعضها، لأنّ اللّغة واقع اجتماعي حيّ، ويصدق القول إنّ الوظيفيّة "حولت وجهة البحث من موضوع المعرفة المتمثّل في اعتبار اللغة تراكيب ودلالات، إلى فاعل المعرفة المتمثّل في اعتبار اللّغة خطاباً وتلفظاً وإنجازاً، أي حوّلته، في نهاية الأمر، إلى وجود الإنسان في لغته"[٣].

ويرى أصحاب المنهج الوظيفيّ أنّ "عناصر اللّغة مجتمعة تُسهم في أداء الفكرة التي يريدُ المتكلّمُ توصيلها[٤] " فلا يمكن أنْ يستقلّ عنصر أو مستوى لغوي بأداء الوظيفية.

وبذلك تتحدد معالم هذا المنهج بمدى إيمانه بأثر الوظيفة في دراسة التراكيب، وارتباط الدراسة اللغوية بالمجتمع. وقد تعددت أنماط المعالجات الوظيفيّة، وسيحاول البحث عرض الأنظار الوظيفيّة المتنوعة.

---

(١) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، ص٧٢.

(٢) عبد الحميد السيّد- دراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص١٤٠.

(٣) عثمان بن طالب- البراغماتيّة وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربيّة، ص١٢٥.

(٤) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، ص٧٢.

١- مدرسة براغ:

شهدت مدرسة براغ أوج نشاطها في العقْد الرابع من القرن العشرين، وقد ألحّت على بيان الوظائف الخاصّة التي تؤدّيها الأبنية المختلفة في استخدام اللغة ككل[١] واتخذ ذلك وجهين: " النظر في وظيفة اللّغة في عمليّة الاتصال ودور اللّغة في المجتمع، والنّظر في وظيفة اللّغة في الأدب، ومسألة وجوه اللّغة ومستوياتها من منطلقٍ وظيفيّ"[٢].

ويُعَدّ المنظور الوظيفيّ للجملة (Functional Sentence Perspective) من أبرز توجّهات هذه المدرسة، ويقصد به " ترتيب عناصر الجملة بالنّظر إليها في ضوء السياق الفعليّ"[٣].

وتتكوّن الجملة، وفق هذا المنظور، من قسمين: المسند (Theme)، والمسند إليه (Rheme) كما في قوله- عزّ وجلّ-:

"المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا"[٤]

المسند المسند إليه

وقد يتقدّم المسند إليه على المسند بقصد العناية والاهتمام كما في جملة:

الله يدعو إلى الحق.

المسند إليه المسند

---

(١) انظر جيفري سامبسون- المدارس اللّغوية، ص١٠٦.

(٢) نهاد الموسى- نظريّة النّحو العربي، ص٩٢.

(٣) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، ص٧٧.

(٤) سورة الكهف- آية ٤٦.

ووفق هذا المنظور يرى (ماثسيوس) (١٨٨٢-١٩٤٥م) رائد مدرسة براغ " أنّ المستوى النّحوي والصرفي من جَهة، والمستوى الدلاليّ من جهة أخرى يتفاعلان من خلال عمليّة الاتصال اللّغويّ، ممّا ينتج ما يمكن أن يُسَمّى بالمستوى الكلامي"(١)، وفي هذا المستوى الكلاميّ تظهر القيمة الاتصاليّة للّغة من خلال تفاعلها مع الواقع الذي تعيش فيه.

ويُطوّر (جان فرباس) (J.Firbas) هذا المنظور الوظيفيّ بإدخال مفهوم "ديناميّة الاتّصال (Communicative Dynamism) وهي " خاصيّة من خاصيّات الاتّصال تتجلّى في سياق المعلومات التي يراد التعبير عنها"(٢)، وتستند دينامية الاتّصال إلى أنّ العناصر الداخليّة في تكوين الجملة تتفاوت في تحريك الحدث الكلامي.

والجملة في هذا المفهوم تتكوّن من المسند ويعبّر عن أقل درجة في الرّسالة اللّغويّة، والمسند إليه ويشكل المعلومة الجديدة فيها، والوحدة الانتقالية (Transition element) وتمثّل العناصر الإضافية اللاّزمة لاستقامة الجملة(٣)، ومثال ذلك جملة :

ضاع قلمي في المكتبة

وحدة انتقالية المسند المسند إليه

ولكي تحدد هذه المكوّنات وفق هذا المنظور، لا بُدّ من اعتبار نسق الجملة أي كيفية ترتيب الأجزاء فيها، والسياق الخارجيّ، والبنية الدلاليّة للجملة(٤).

---

(١) أحمد قدور- مبادئ اللّسانيّات، ص٢٤٢.

(٢) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، ص٧٧.

(٣) عبد الحميد السّيّد- التراكيب النّحوية من الوجهة التداوليّة، ص٧٧.

(٤) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة/ ص٧٨.

يلاحظ أنّ التحليل الوظيفيّ للغوبي مدرسة براغ تداخله عناصر ذاتيّة شخصيّة، فهو " يعتمد على الذوق الانطباعيّ على الرّغم من استناده إلى عناصر السّياق وما يقدّمه من معلومات"(١). ولم ينشغلوا بجعل الدراسة اللغويّة دراسة علميّة، لأنّهم كانوا معنيين " بالكيفية التي تزوّد بها اللّغة المتكلّم بعدد من الأساليب والاختيارات مناسبة لظروف مقاميّة مختلفة"(٢).

نظرية فيرث:

تمثّل نظريّة (فيرث) مُحَصّلة الدراسات اللّغوية في بريطانيا، وقد اتّسمت وجهتها الوظيفيّة بالاعتناء " بتطوير وسائل اتّصال ذات كفاءة يتكلّمها عدد كبير من النّاس"(٣).

وتُعَدّ فكرة السّياق حجر الزاوية في هذه النظرية، وبالرّغم من إدراك علماء اللغة قديماً وحديثاً أهميّة السّياق، ودوره في الحدث اللّغوي، إلاّ أنّ الفضل يعود إلى (فيرث) الذي صاغ منه نظرية علميّة.

وقد تأثّر (فيرث) بالعالم البولندي (مالينوفسكي) الذي أكّد دور السّياق، ولا سيّما في أثناء عمله في الترجمة الحرفيّة إلى اللّغة الإنجليزيّة، وقد حصر السّياق انطلاقاً من اهتماماته الأنثربولوجيّة في " البيئة الطبيعيّة أو الواقع الثقافي للمجتمع ... ولكنّه لم يتوسّع في الحديث عن السّياق، وكيف يمكن تناوله ضمن نظرية لتحليل المعنى"(٤).

---

(١) أحمد قدور- مبادئ اللّسانيّات، ص٢٤٥.

(٢) عبد الحميد السيّد- التراكيب النحوية من الوجهة التداوليّة، ص٧٨.

(٣) جيفري سامبسون- المدارس اللغوية، ص٢٢٤.

(٤) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللّغة، ص٨٢.

أمّا (فيرث) فقد وسّع مفهوم السّياق ليضعه في إطار تجريديّ لدراسة المعنى، فالمعنى عنده مجموعة من العلاقات والخصائص والمميزات اللّغوية التي تستطيع التعرّف عليها، في مَوقف معيّن يحدده لنا السّياق"[١].

وسياق الحال هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر المكوّنة للموقف الكلامي[٢]:

أ- شخصيّة المتكلّم والسّامع وتكوينهما الثقافيّ، وشخصيّات من يشهد الكلام ودورهم.

ب- العوامل والظواهر الاجتماعيّة والمناخيّة وعلاقتها باللّغة والسّلوك وقت الكلام.

ج- أثر الكلام في المشاركين فيه، مثل: الاقتناع أو الاعتراض أو الألم...

ومعنى هذا أنّ من " أهم خصائص السّياق عند فيرث إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلّم، وسائر المشتركين في الموقف الكلاميّ"[٣] أي أنّ (فيرث) يدرس اللغة بوصفها جزءاً من المنظومة الاجتماعيّة.

وقد أكّد (فيرث) التوازي بين السياقات الداخلية والشكلانيّة للتراكيب وبين السياقات الخارجيّة للموقف، فقد قسّم السياق إلى نوعين[٤]:

أ- السياق اللغوي: ويتمثّل في العلاقات الصوتيّة والفنولوجيّة والمورفولوجيّة والنحوية والدلاليّة.

---

(١) حلمي خليل- العربيّة وعلم اللغة البنيوي، ص١٣٣.

(٢) نهاد الموسى- نظرية النحو العربي، ص٩٤.

(٣) محمود السّعران- علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، ص٣١١.

(٤) حلمي خليل- العربيّة وعلم اللّغة البنيوي، ص١٣٥.

ب- سياق الحال: ويمثله العالم الخارج عن اللغة بما له صلة بالحدث اللغوي، ويتمثّل في الظروف الاجتماعيّة والبيئة النفسيّة والثقافية للمتكلمين أو المشتركين بالكلام.

وقد أشار بعض الباحثين إلى بعض مظاهر القصور في هذه النظريّة، فهي غير قادرة على التعامل إلاّ مع أبسط حالات استعمال اللّغة وأكثرها سذاجة، ففي معظم الحالات التي يتم فيها الاتصال اللّغوي (مثلاً رواية قصة، إعطاء محاضرة...) فإن ملاحظة الحالة التي يجد فيها المتكلم والسّامع أنفسهما لن تخبرنا إلاّ بالقليل بشأن معنى الرسالة، كما أنّ بعض الأشكال اللغوية ليس لها ترابط قابل للملاحظة المطّردة في العالم المعاصر على الإطلاق[1].

وبالرّغم من هذه الثغرات إلاّ أنّ هذه النظرية وجّهت الاهتمام إلى النّواحي الاجتماعيّة والسياقيّة للمعنى التي كانت مهملة سابقاً.

المدرسة الفرنسيّة:

ويتزّعمها (أندريه مارتينيه) وقد قامت على تطوير مبادئ مدرسة براغ، فطوّرت الخطوة الأساسيّة لبنية الإسناد ووظيفته في الجملة، فاستطاع (مارتينيه) أن يقدّم " النموذج الوظيفي الأفضل فكانت وظيفيّته نظريّة" وسطاً قريبة من واقع اللّغة الملموس بعيدة عن الشطط في الافتراض"[2].

ويرى (مارتينيه) أنّ التركيب الإسناديّ يشتمل على عنصرين:" أحدهما يدل على مضمون أو حدث ونسميّه مُسنداً، والثاني يدل على مشارك في الحدث (سلباً أو إيجاباً) ونسمّيه المسند إليه، وقد يدخل على التركيب عنصر تكملة يحمل معلومات لا مناص من

---

(١) انظر فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيات، ص٤٦٢.

(٢) الطيب البكوش- علم الصرف بين النظريات العربية والألسنية الحديثة، ص٩.

الإشارة إليها لارتباطها بمجمل الخطاب، وقد أطلق على هذا الارتباط (وظيفة اللّغة)"[١].

ويرتبط مفهوم الوظيفة عند (مارتينيه) بمبدأ " اختيار المتكلّم لأدواته التعبيريّة اختياراً واعياً فتتحدد وظيفة أي جزء من أجزاء الكلام بالشحنة الإخباريّة التي يكون في مقدور المتكلم أن يحملها ذلك الجزء فتكون الوظيفة هي القيمة التمييزيّة من الناحية الدلاليّة"[٢].

ويترتّب على هذا التصوّر للوظيفة أن يرتبط مفهومها بمدى قدرة المتكلم على التوقع، ممّا يستلزم أن تكون الشحنة الإخبارية ضعيفة إذا كان توقع السّامع كبيراً، وأن تكون قويّة إذا كان توقّعه ضعيفاً وبذلك وسّع (مارتينيه) مفهوم الوظيفة وجعلها محكومة باعتبارات تتّصل بوظيفة اللّغة، وهي كما هو متعارف، ظاهرة من ظواهر الاتصال والتخاطب.

ويشير (مارتينيه) إلى أنّ الجملة " هي الملفوظ الذي ترتبط كل أجزائه بعنصر منه يكون محور الإبلاغ" أي أنّ الوظيفة اللّغوية تتمثل في أيّ " عنصر من عناصر الجملة يكون مرتبطاً بالعنصر الرئيس فيها، أي محور الإبلاغ، وأنّ إحكام العلاقة التي تربط الكلم بعضه ببعض يؤدي إلى الإبلاغ والتعبير عن المعاني والمقاصد بوضوح وفاعليّة".

ويعدّ (هاليداي) (M. Haliday) المؤسس الثاني لهذه المدرسة، الذي اكتملت على يديه أسس النّحو النظامي (Systematic Grammar)، ويؤكدّ فيه على الجانب الوظيفيّ للّغة، ويقوم " على تصنيف الوظائف النحويّة ضمن نظام يبيّن استعمالاتها، وهو يرى أنّ قدرة المتكلّم على استعمال اللّغة تقع ضمن ضمن الإمكانات التي تسمح بها اللّغة"[٣].

ومن الأمثلة على تطبيقاته فكرةَ التعدّي واللزوم.

---

(١) أندريه مارتينيه، مبادئ اللّسانيات العامة، ص١٢٣.

(٢) عبد السّلام المسدّي- اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ص١٥١.

(٣) انظر يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٩.

شرح المعلّمُ الدرس

حدث عامل هدف تجاوز إليه النشاط

مرض عميد الكليّة

حدث متقبل نشاط قاصر

إنّ نمط التعدّي واللزوم " يتمثل في العلاقة بين النّشاط والمشاركين، فحيث ينحصرُ النشاط في الفاعل أو المتقبل فهو نشاط قاصر، وحين يجاوز النشاط العامل إلى عنصر آخر فهو نشاط مجاوز، وهذا النشاط المجاوز يُسَمّى هدفاً"(١).

الوظيفيّون الجدد: ٦٠٤٦٥٥

نشط هذا الاتجاه في السبعينات، وحدد هؤلاء الوظيفيوّن العلاقات بين العناصر في التركيب انطلاقاً من الوظيفة التي يسندها المتكلّم لوحدات القَول، ووفقاً للتغيّرات الطارئة فهم يرون أنّ " تجسيد الوظيفة يتم عبر الإسناد المنطقي(٢).

وقد جمع هؤلاء الوظيفيّون بين المرتكزات النظريّة للاتجاه الوظيفي والمنطق الصوري، ومن أبرز منظرّي هذا الاتجاه سيمون ديك (Simon Dick) الذي قدّم أنموذجاً في النحو الوظيفي يتألّف من عدّة مستويات وهي:

١- المستوى المحمول: محمول (اسم أو فعل أو صفة) + موضوعات، والمحمولات تكون إمّا أصليّة أو مشتقّة.

---

(1) يحيى أحمد- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٩٠.

(2) المرجع نفسه- ص٩٧.

٢- المستوى الدلالي: ويظهر فيه دور المنفّذ (Agent)، والهدف (Goal)، والمتقبّل (Recipient) وتلحق هذه الأدوار بالموضوعات التي تتساوق مع المحمول

٣- بنية العلائق التركيبيّة: وفي هذا الدور يتم الانتقال من البنية المحموليّة إلى بنية العلائق التركيبيّة، حيث تقوم القواعد الإلحاقيّة بتحميل العناصر وظائفها التركيبيّة من فاعل ومفعول.

٤- إلحاق الوظائف التداولية: يتم بعد ذلك إلحاق الوظائف التداولية بمكوّنات الجملة، وتتميّز هذه الوظائف بـــ " ارتباطها بالمقام، أي أنّ تحديدها لا يمكن أن يتم إلاّ انطلاقاً من الوضع التخابري بين المتكلّم والمخاطب في طبقة مقاميّة معيّنة"، ومن هذه الوظائف:

أ- المحور (Topic): وهو المحدث عنه داخل الجملة.

ب- البؤرة (Focus): وهي المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهميّة أو بروزاً في الجملة.

جـــ- المبتدأ (Theme): وهو عند (ديك) ما يحدد مجال الخطاب.

د- الذيل (Tail): يحمل معلومة توضح معلومة داخل الجملة أو تعدّلها.

٥- قواعد التعبير (Expression Rules): وتقوم قواعد التعبير بعد ذلك بتحديد البنية المكوّنية الفعليّة للعبارات باستخدام قواعد الرتبة والمطابقة والنبر والتنغيم والإعراب .

وكل هذه المستويات تتآزر في إعطاء الجملة المحققّة (الفعليّة).

الفصل الثالث

الوظيفيّة في الدّرس النّحويّ العربيّ الحديث

أحمد المتوكل أنموذجاً

الفصل الثالث

الوظيفيّة في الدّرس العربيّ الحديث

أحمد المتوكل أنموذجاً

المبحث الأول: الوظيفية عند الباحثين العرب:

يبدو من السّياق التاريخي لنشأة الدّراسات الوظيفيّة في الدّرس العربيّ الحديث، أنّها ارتبطت بدعوات الإصلاح والتيسير ومحاولات تجديد النّحو العربي التي بدأت مع مطلع العصر الحديث بالاستناد إلى نظريّات علم اللّغة ومناهجه، وبتناول النّحو من وجهة نظر علميّة موضوعيّة.

واستجابة لهذه الدّعوات ظهرت كتب حملت أسماء وعناوين عديدة ميّزت ملامح تيّار يسعى لتبسيط النّحو لغايات تعليميّة خالّصة، وتقديمه مُيَسّراً لطلاب المدارس والجامعات، فظهر النّحو الواضح، والنّحو الوافي، والنّحو الوظيفي...

واللاّفت أنّ حركة الإصلاح والتيسير قد دعت إلى الإدراك الحقيقيّ لوظيفة اللّغة في الاتصال والتعبير، وبحث الجانب الحيّ الذي ينبغي أنّ يستعمَلَ في القواعد، وجعل قضيّة المعنى بما لها من صلة بالتحليل النّحْويّ من أهم القضايا في إصلاح النّحو العربي.

وقد جاءت البدايات الأولى للاهتمام بالمنحى الوظيفي عند النّحاة العرب المحدثين في دعوة إبراهيم مصطفى التي نادى فيها بدراسة وافية لأحكام نظم الكلام وأسرار تآليف العبارات بما لها من صلة بالمعنى، كما يطالب بوجه خاص بدراسة طرق الإثبات والنفي

والتاكيد والزّمن والتقديم والتأخير، كما رأى ضرورة مراجعة نظريّة العامل وما يترتّب عليها من اختلاف العوامل والمعمولات ممّا أدّى إلى التوغّل في التحليل على حساب المعنى(١).

ثُمّ يأتي مهدي المخزومي الّذي أكدّ وظيفة الكلمة في الجملة بتعالقها مع غيرها، وعد اللّغة ظاهرة اجتماعيّة تخضع لما يخضع له المجتمع(٢).

وقد نحا تّمام حسّان في نموذجه " اللّغة العربيّة معناها ومبناها " منحىً وصفياً وظيفياً، فقد وصف النّحو العربي بعيداً عن التقدير والتعليل، متأثراً في نموذجه بنظرية سياق الحال لدى "فيرث"، وقد أطلق عليْه (المقام)، وجعل السّياق اللّغوي موازياً له وأطلق عليْه (المقال).

وقد جعل تّمام حسّان دراسة المعنى همّه في هذا النموذج " فلا بدّ لكل دراسة لغويّة أنْ يكون موضوعها الأوّل والأخير هو المعنى. وكيفيّة ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللّغة وهو صلة المبنى بالمعنى(٣).

وينظر تمّام حسّان إلى اللغة بوَصفها نظاماً يأتلف من مجموعة من المعاني، تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيميّة أو المباني المعبّرة عن هذه المعاني، ثُمّ من طائفة من العلاقات التي تربط بينهما ربطاً إيجابياً، والفروق "القيم الخلافية" التي تربط سلبياً بين

---

(١) إبراهيم مصطفى- إحياء النّحو، ص٣-٨.

(٢) مهدي المخزومي- في النّحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، ص١٩.

(٣) تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها، ص٩.

أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني، وذلك بإيجاد المقابلات ذوات الفائدة[١].

وأقام تمّام حسّان تناوله للمعنى على أساس تشقيقه إلى ثلاثة معانٍ[٢]: المعنى الوظيفي ويعتمد في تحقيقه على النظام اللغويّ أو السّياق، والمعنى المعجميّ، والمعنى الاجتماعيّ (المقام) الذي يسبغ على المقال أهمية اجتماعيّة تاريخيّة.

لقد أراد تمّام حسّان أن يجعل المعنى محور الدّراسة النّحْوية، إلاّ أنّ اهتمامه المبالغ بالمعنى جعله يضع الشكل موضع الإهمال، ويتضح ذلك حين ذكر أنّ كلاً من صفة الفاعل والمفعول تحمل معنى الحدث على سبيل الانقطاع والتجدد، الأمر الذي يوهم بأن المبنيين مبنى واحد؛ وذلك يوحي بضرب من القصور في مبدأ القيم الخلافيّة الذي نادى به[٣]. إضافة إلى أنّه لم يقدّم دراسة تطبيقيّة لنموذجه.

وقد نادى جعفر دك الباب، من منطلقاته الوظيفيّة، بتبسيط نحو العربيّة بالتأكيد على الوظيفة الأساسيّة في اللّغة، تلك الوظيفة التي تتمثل في كونها وسيلة للاتّصال بين النّاس[٤].

وهو يدعو إلى توحيد " علم قواعد اللّغة العربيّة" على أساس بنيويّ وظيفيّ، منطلقاً من نظريّة عبد القاهر الجرجاني التي تقتضي دراسة الجملة، آخذة في الحسبان: بنيتها

---

(1) تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٤.

(2) المرجع نفسه- ص٢٨-٣٠.

(3) محمد صلاح الشريف- النظام اللغوي بين الشكل والمعنى، ص٢٠٩.

(4) جعفر دك الباب- ازدواجيّة اللغة وكيفيّة الخروج منها، ص٢٩.

النّحوية وبنيتها الإخباريّة، وهو يرى أنّ ذلك يستلزم توحيد علمي النّحو والمعاني، وعدم الفصل بين درس الأصوات اللغويّة وقواعد الصرف، كما يستلزم في الوقت نفسه عدم الفصل بين قواعد النّحو وعلم المعاني، وذلك يعني أنْ يدرس النّحو من خلال درس اللغة على أنّها نظام من مستويات مختلفة متآزرة في تحقيق وظيفة اللغة الأساسيّة المتمثّلة في التواصل(١).

لقد اتّسم منهج الباحثين العرب بالمزاوجة بين المنهج الوصفيّ، والمنهج الوظيفيّ، إلى أن تبلّرت الوظيفيّة التداولية على يد الباحث المغربي أحمد المتوكّل.

المبحث الثاني: نموذج النحو الوظيفي لدى أحمد المتوكل:

تسعى النظريّات اللغويّة، حتّى الوظيفيّة منها، على اختلاف منطلقاتها وأهدافها، إلى وصف الظواهر اللغويّة ببناء نماذج صُوريّة، وتختلف فيما بينها في مبدأ تفسير هذه الخصائص، إذ منها ما يُسلّم بإمكان التفسير الداخلي، ومنها ما ينطلق من مبدأ أنّ بنية اللّغة مرتبطة بوظيفتها التواصليّة.

وتأتلف نظرية النحو الوظيفي في اللسانيات الوظيفية؛ إذ إنّها تعتمد منهجيّاً أنظومة المبادئ الوظيفيّة، التي يأتي في مقدّمتها مبدأ تلازم الوظيفة والبنية وتحديد الوظيفة للبنية.

وقد تناول اللّغويّون العرب من نحاة وبلاغيين البنيات في إطار التفاعل بين بنية "المقال" ومقتضيات " المقام"، فاقترحوا أوصافاً لكل من ظاهرة التخصيص، وظاهرة العناية، وظاهرة التوكيد، وظاهرة الحصر، واللاّفت أنّهم علّلوا الخصائص البنيويّة المميّزة

---

(١) انظر جعفر دك الباب- ازدواجيّة اللغة وكيفيّة الخروج منها، ص٣٠.

للبنيات انطلاقاً من أنماط المقامات التي تنجز فيها، ممّا حفّز الباحث المغربيّ، أحمد المتوكل، إلى الاعتناء بالنحو الوظيفيّ وقضاياه، مشيراً إلى أنّ " النظرة الثاوية خلف مختلف العلوم اللغويّة (النّحو، اللّغة، البلاغة، فقه اللّغة ...) نظرية تداوليّة وأنّها بالتالي قابلة للتحاور مع النظريّات التداوليّة الحديثة ممّا يمكّن من[١]:

١- إعادة قراءة الفكر اللّغوي العربيّ القديم، وإدماجه في الفكر اللّساني الحديث من خلال إغناء لسانيّات اللّغة العربيّة، بتقديم أوصاف وظيفيّة لظواهر مركزيّة بالنّسبة لدلاليات اللغة العربية وتراكيبها وتداولياتها.

٢- إغناء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم مستمدّة من اللّغة العربيّة، دون أن يمسّ اقتراض هذه التحليلات والمفاهيم بالمبادئ المنهجيّة المعتمدة في النحو الوظيفي ولا ببنية النحو المقترحة.

وقد بنى المتوكّل نموذجه في وصف اللّغة العربيّة منتفعاً مما قدّمه (سيمون ديك) في كتاباته الوظيفيّة، فهو يعدها الأكثر استجابة لشروط التنظير ومقتضيات نمذجة الظواهر اللّغوية، أضف إلى أنّها محاولة جادة في الاستفادة من نظريات لغويّة كالنحو العلاقي (Relational Grammar)، ونحو الأحوال (Case Grammar)، والوظيفيّة (Functionalism)، ونظريّة الأفعال اللغويّة (Speech acts theory)، والنحو المعجمي الوظيفي (Lexical Functional Grammar) [٢].

---

(١) انظر أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص١٠.

(٢) المرجع نفسه – ص٩.

ويبيّن المتوكّل أهم المبادئ المنهجيّة المعتمدة في النحو الوظيفي[١]:

١- تؤدي اللغة وظائف متعدّدة تَعَدُّدَ الأغراض التي تستعمل من أجل تحقيقها، إلاّ أنّ الوظيفة الأساسيّة هي وظيفة التواصل.

٢- ترتبط بنية اللغة بوظيفتها التواصليّة ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة، فالخصائص البنيوية (الصرفيّة، والتركيبيّة، والمعجميّة ...) للعبارات اللغوية تحددها، إلى حد بعيد، الخصائص الدلاليّة والتداوليّة باعتبار المجموعة الأولى من الخصائص وسائل للتعبير عن المجموعة الثانية.

٣- النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورٌ إليهما من وجهة نظر تداوليّة، وهو أمر يفهم منه أنّ البنية التركيبيّة في النحو الوظيفي تتم انطلاقاً من البنية الوظيفيّة، لا العكس، كما هي الحال في النحو التوليدي التحويلي.

٤- موضوع الوصف اللغوي هو "القدرة اللغويّة التواصلية" للمتكلم – السّامع، بمعنى أنّها معرفة القواعد التداولية إضافة إلى القواعد البنيويّة التي تمكّن من إنجاز عبارات لغوية سليمة وفهمها في طبقات مقاميّة معينّة، وقصد تحقيق أهداف تواصليّة.

وتتمثّل هذه القدرة التواصلية في مجموعة من الملكات، التي تتفاعل فيما بينها أثناء عمليتيّ إنتاج الخطاب وفهمه، متيحة بذلك التواصل بين مستعملي اللّغة الطبيعيّة على الشكل الآتي[١]:

---

(١) انظر أحمد المتوكّل- الوظيفة والبنية: مقاربات وظيفيّة لبعض قضايا التركيب في اللغة العربيّة، ص١٠.

١- **الملكة اللغويّة:** وهي الملكة التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعيّة من إنتاج عبارات لغويّة معقدة ومتباينة، وتأويلها في عدد كبير من المواقف التواصليّة المختلفة.

٢- **الملكة المعرفيّة:** وهي ملكة تتيح لمستعمل اللّغة الطبيعيّة تكوين مخزون معرفي منظّم والاحتفاظ به وتوظيفه حين الحاجة، وبفضلها يستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغويّة كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب، وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارة اللغويّة.

٣- **الملكة المنطقيّة:** وهي الملكة التي يتسنّى لمستعمل اللّغة الطبيعيّة بوساطتها أن يشتق معارف إضافيّة من معارف أخرى مستخدماً قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

٤- **الملكة الإدراكيّة:** وهي ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعيّة من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك لمحيطه في إنتاج العبارات اللغويّة وفهمها.

٥- **الملكة الاجتماعيّة:** وهي مجموع القواعد والمبادئ الاجتماعيّة التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعيّة من استعمال العبارة اللغويّة المناسبة بالنظر إلى وضع مخاطبه وإلى الموقف التواصلي وإلى الغرض المروم تحقيقه.

وانطلاقاً من هذا التصوّر اقترح (ديك) أن يُصاغ الجهاز الواصف في النحو الوظيفي في شكل " لموذج لمستعملي اللغة الطبيعيّة " يتكوّن من خمسة قوالب، تضطلع برصد

---

(١) انظر أحمد المتوكّل- قضايا اللغةالعربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة: بنية الخطاب من الجملة إلى النّص، ص٣٧.

الملكات السابقة الذكر، وهي القالب النّحوي، والقالب المعرفي، والقالب المنطقي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي.

ويقترح المتوكل أنْ يُرْصَد داخل هذا النموذج قالبٌ خاص يسمّيه " القالب الإبداعي"[١] تكون مهمّته وصف خصائص الخطاب الإبداعي، وبالرغم من خصوصيّة هذا الخطاب فإنّه – في ظنّي– يشكل تفعيلاً للملكة اللغويّة عند المبدعين، في حين يظلّ كامناً عند الآخرين، ممّا لا يحتم إضافة قالب إبداعي بل جعله جزءاً من القالب النّحْوي.

نموذج مستعملي اللغة الطبيعيّة

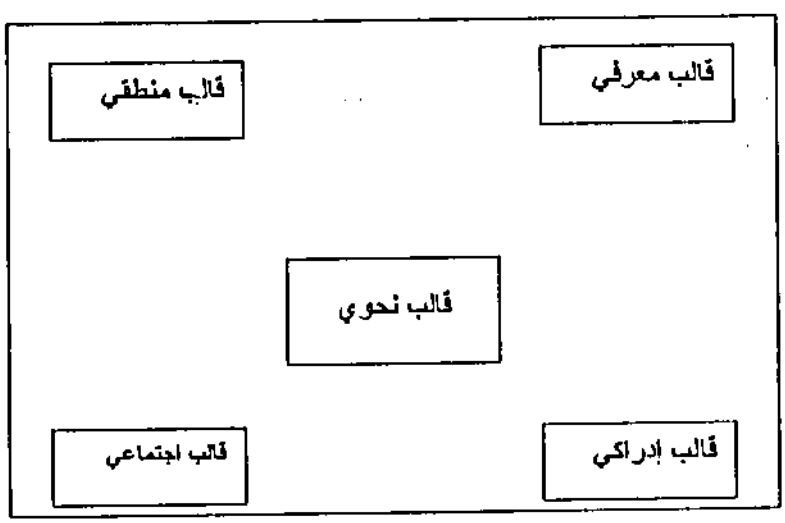

ويشكّل كل قالب من هذه القوالب " نسقاً مستقلاً من القواعد يتميّز عن القوالب الأخرى من حيث موضوعه ومن حيث إوالياته، إلاّ أنّ هذه القوالب جميعاً تربط بعضها ببعض علاقة تفاعل[٢] " حيث يمكن أنْ يكون " خَرْج " كل مكون " دَخْلاً " لغيره.

---

(١) أحمد المتوكّل– قضايا اللغةالعربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة: بنية الخطاب من الجملة إلى النّصّ، ص٣٩.

(٢) أحمد المتوكل– آفاق جديدة في نظريّة النحو الوظيفي، ص٩.

ويعد القالب النّحوي الأكثر أهميّة في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله[١]؛ لأنّه يشتغل ضرورة في كل من هاتيْن العمليتين. وقد تضاف إليه عند الحاجة قوالب مساعدة كالقالب الاجتماعي والقالب المعرفي ... التي تمدّ منتج الخطاب أو مؤوله بمعلومات إضافيّة. إلاّ أنّه كلما كانت العبارة غنيّة من حيث المعلومات التي تحملها كان دور القوالب الأخرى غير القالب النّحوي أقل أهميّة، وكلّما افتقدت العبارة من حيث حمولتها الإنجازية كانت ضرورة اللّجوء إلى هذه القوالب الأكبر.

ويجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفايات:

١- الكفاية التداوليّة (Pragmatic adequacy): وتتحقق الكفاية التداولية حين يستطيع الوصف اللّغوي أنْ يرصد التفاعل القائم بين بنية اللّغات الطبيعيّة ووظيفتها التواصليّة، وبذلك فإنّ النّحو الوظيفي يعد الوظائف النّحويّة مفاهيم أولى (Primitives) أي مفاهيم غير مشتقة من بنيات مركبيّة معينّة كما درج على اعتبارها في الأنحاء التوليديّة[٢]. فحينما نقول:

زيْداً قابلَ خالدٌ

---

(١) انظر أحمد المتوكل- قضايا اللغة في اللّسانيات الوظيفيّة، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي أو التداولي، ص٣٠.

(٢) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللّغة العربيّة الوظيفي، ص٢٧-٢٨.

فالترتيب ناتج وفق تصوّر التحوّليين من نقل زيد إلى بداية الجملة، والجملة المكوّنة هي فرع عن الأولى. أمّا من الوجهة الوظيفيّة فإنّ زيداً أصلاً مُقدّمة، لأنّ النحو الوظيفي يعتد الوظائف أصولاً وليست مشتقة.

٢- الكفاية النفسيّة (Psychological adequacy): وتتحقق حينما يعكس النّحو النماذج النفسيّة للقدرة اللّغوية وللسلوك اللّغوي، في اتجاه إنتاج العبارة اللّغوية وفهمها، في هذا الإطار يستبعد النحو الوظيفي كلّ ما ثبت عدم واقعيته النفسيّة[١].

٣- الكفاية النمطيّة (Typological adequacy): وتحصل الكفاية النمطيّة حين يستطيع النّحو أن يبني أوصافاً للّغات تنتمي إلى أنماط مختلفة، وأنْ يرصد، في الوقت ذاته، ما يؤالف بين هذه اللّغات المتباينة نمطيّاً وما يخالف بينها[٢].

مراحل تشكل الجملة من منظور وظيفي:

يتم اشتقاق الجملة من منظور وظيفي، عبر بنيتين:

١- البنية التحتية: وترصد هذه البنية خصائص العبارة الدلالية والتداولية في الوقت ذاته، ويُمثّل لهاتين الفئتين من الخصائص بوساطة ثلاثة أنماط من العناصر[٣]:

أ- وحدات معجمية تنقسم إلى محمول وحدود (موضوعات ولواحق)، ويصاغ المدخل المعجمي في نظرية النحو الوظيفي، على أساس أنه بنية مهمتها التمثيل لأحد أنماط الوقائع الأربعة التالية: عَمل، وحَدَث، ووَضْع، وحالة، ومن أمثلة هذه الأنماط:

---

(١) انظر أحمد المتوكل- قضايا اللغة العربية في اللّسانيات الوظيفيّة، البنية التحتية، ص٢٠.

(٢) المرجع نفسه- ص٢١.

(٣) أحمد المتوكّل- قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة، البنية التحتية، ص٣٣.

١- قتل خالدٌ بكراً (عمل)

٢- فتحت الريح الباب (حدث)

٣- خالد جالس قرب الباب (وضع)

٤- هند فرحة (حالة) [١]

ب- مخصصات وهي مؤشرات للخصائص الصرفية والتركيبية.

جـ- وظائف دلالية وتركيبية وتداولية.

والبنية التحتية بنية متعددة الطبقات، يميز فيها بين مستويين[٢]:

١- المستوى التمثيلي: فهو يمثل لواقعة معينة في عالم من العوالم الممكنة، ويضم:

أ- طبقة الحمل النووي: ويشكل اللبنة الأولى في بناء البنية التحتية وتتكون من المحمول وموضوعاته.

ب- طبقة الحمل المركزي: وتتكون من إضافة مخصص ولاحق إلى الحمل النووي.

جـ- طبقة الحمل الموسع: وتتكون أيضاً من إضافة مخصص ولاحق إلى الحمل المركزي.

٢- المستوى العلاقي: فهو يحدد علاقة المتكلم بالمخاطب (مخبر، ومستفهم أو آمر أو منذر، ...) من ناحية، وعلاقته بفحوى ما يتلفظ به (شكه أو يقينه أو تمنيه ....) من ناحية ثانية ويضم:

---

(١) احمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص١٢.

(٢) أحمد المتوكل- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية، ص٤٦-٤٩.

أ- طبقة القضية: وتتكون من الحمل الموسع بوصفها نواة مضافاً إليه مخصص ولاحق.

ب- طبقة الإنجاز: وتتكون من القضية نواة مضافاً إليها مخصص ولاحق.

ويلاحظ أن البنيات التحتية الممثل لها في القالب اللغوي تتضمن طبقة إنجازيّة، في حين أن البنيات التحتية التي نجدها في القوالب الأخرى لا تتعدى الطبقة القضوية.

ويتعين إسناد الوظائف الدلالية والتداولية والتركيبية لكي تكون البنية التحتية تامة التحديد، أما الوظائف الدلالية فقد حصرها في الوظائف التالية: المنفذ، والمستقبل، والمتقبل والأداة، والزمان والمكان.

وسأفصّل القول في الوظائف التداولية والتركيبيّة.

رسم يوضح تنظيم القالب النّحوي[١]:

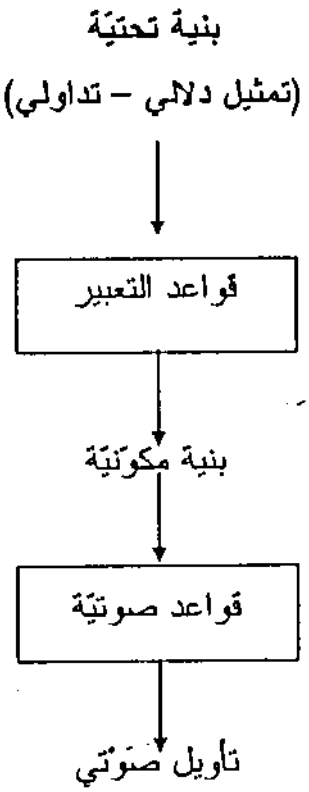

البنية المكوّنيّة (Constituent Structure):

تعدُّ البنية الوظيفيّة دخلاً (Input) للبنية المكوّنيّة، ويتمّ الرّبط بين البنيتين باستخدام قواعد التعبير (Expression) التي تشمل[٢]:

١- قواعد إسناد الحالات الإعرابيّة (Case assignment rules).

٢- قواعد إدماج مخصصات الحدود (كإلحاق أداة التعريف مثلاً).

---

(١) أحمد المتوكل- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص١١.

(٢) المرجع نفسه- ص١٨.

٣- القواعد المتعلّقة بصيغة المحمول (بناء الفاعل/ بناء المفعول، إدماج الرّابط "كان").

٤- قواعد الموقعة (Placement rules) التي تترتّب المكوّنات بمقتضاها داخل الجملة.

٥- قواعد إسناد النّبر والتنغيم (Accent and Intonation Assignment rules).

تتفاعل الوظائف الدلاليّة والوظائف التركيبيّة والوظائف التداوليّة في تحديد الحالات الإعرابية التي تأخذها المكوّنات على النّحو الآتي[١]:

١- تسند الحالة الإعرابية النصب للمكوّن الحامل لوظيفة دلالية فقط، أو الحالة الإعرابية الجر إذا كان مسبوقاً بحرف جَرّ.

٢- إذا كان المكون حاملاً لوظيفة تركيبية بالإضافة إلى وظيفته الدلاليّة تُسنَد إليه الحالة الإعرابيّة الرفع فاعلاً والنصب مفعولاً.

٣- المكون الحامل لوظيفة تداولية داخليّة يأخذ حالته الإعرابيّة بمقتضى وظيفته الدلاليّة أو التركيبيّة.

٤- المكون الحامل لوظيفة تداولية خارجيّة يأخذ حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته التداوليّة نفسها.

ويقسم المتوكل الحالات الإعرابية إلى ثلاثة أنواع[٢]:

---

(١) من البنية الحماية إلى البنية المكوّنيّة، الوظيفة المفعول في اللّغة العربيّة، ص٣٤.

(٢) أحمد المتوكل- الوظيفة المفعول، ص٣٣.

١- حالات إعرابية لازمة: هي التي تلازم المكوّن في مختلف السياقات البنيوية والوظيفيّة التي ترد فيها، وتشمل حالة البناء، ويمثّل لها داخل المعجم.

٢- حالات إعرابيّة وظيفيّة: وتسند إلى المكونات بمقتضى وظائفها الدلاليّة أو التركيبيّة أو التداولية، وهما حالتا الرفع، والنصب.

٣- حالات إعرابية بنيويّة: وتسند إلى المكوّنات حسب السياق البنيوي الذي ترد فيه هذه المكوّنات، مثل حالة الجَرّ في اللّغة العربيّة، وتحجب هذه الحالة البنيوية الحالة الإعرابية الوظيفيّة، فيكون المكوّن المسبوق بحرف جر مجروراً بغض النّظر عن وظيفته. إنّ المتوكل، إذ ينظر إلى الجر على أنّه حالة بنيوية، يغفل ما تحمله حروف الجر من معانٍ ووظائف دلالية كالملكية والإضافة وغيرها...

ويشير المتوكل إلى أنّ الحالة الإعرابية التي تقتضيها الوظيفة التركيبيّة تحجب الحالة الإعرابيّة التي تقتضيها الوظيفة الدلاليّة[1]، فإذا قلنا: صِيْمَ شَهْرُ رمضان، فكلمة شهر تحمل وظيفة دلالية هي " الظرف " إلى جانب كونها تحمل وظيفة تركيبيّة " نائب فاعل " ولكنها تعرب نائب فاعل حسب مقتضى وظيفتها التركيبيّة.

وبذلك فإنّ تفاعل الوظائف في تحديد الحالة الإعرابيّة يسير وفق السلّمية الآتية:

(الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداوليّة)

---

(١) أحمد المتوكل- الوظيفة المفعول، ص٣٣.

البشريّة. ويرشّح نموذج مستعمل اللّغة الطبيعيّة ببنيته التحتيّة ليمثّل الجانب الكلّي الذي يتمثّل في[١]: تحليل البنية إلى طبقات يعلو بعضها بعضاً، وعدد هذه الطبقات، وطبيعتها (حمل، قضيّة، إنجاز)، والعلاقات السلّميّة القائمة بين هذه الطبقات، والتكوين الداخلي لكل طبقة (نواة، ومخصص، ولاحق)، إضافة إلى الوظائف الدلالية والتداولية، أمّا التركيبيّة فهي غير واردة في بعض اللّغات.

في الوقت نفسه تضع نظريّة النحو الوظيفي نفسها وضعاً متوسّطاً بين النمطية الاستقرائية الصرف، والكليّة الاستنباطيّة، إذ إنّها تسعى في استكشاف خصائص أكبر عدد ممكن من أنماط اللّغات ورصد ما يميّز بينها، دون أن نفعل ما يجمع بينها باعتبارها تجلّيات لنسق تواصلي واحد، نسق اللسان الطبيعي[٢].

نظريّة النحو الوظيفي واكتساب اللّغة:

تمرّ عمليّة اكتساب الطفل للّغة من منظور وظيفي عبر المراحل التالية[٣]:

١- يتعلّم الطفل اللّغة بتعامله مع المعطيات المتوافرة في محيطه اللّغوي.

٢- أثناء هذه العمليّة يكتسب الطفل قدرة تواصليّة (مجموعة الملكات اللغويّة وغير اللغويّة المتفاعلة).

٣- تكتسب هذه القدرة التواصليّة في مراحل يحصّل عبرها الطفل مستويات مختلفة.

---

(١) أحمد المتوكّل- دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص٥٥.

(٢) أحمد المتوكل- الوظيفيّة بين الكلّية والنمطيّة،ص٧٠.

(٣) المرجع نفسه- ص٦٣.

٤- يواجه الطفل في محيطه اللغوي وتفاعله معه بعدّة فطرية تسهّل عمليّة الاكتساب وتعجّل بها. ويمكن أن تتمثل هذه العدة الفطريّة في نموذج مستعملي اللغة الطبيعيّة.

إنّ هذا التصوّر لعمليّة الاكتساب يغلّب عامل المحيط اللّغوي دون أن يغفل العامل الفطري.

الوظائف التداوليّة:

تنفرد الوظائف التداوليّة في الخاصيّة التي تميّزها عن كلٍّ من الوظائف الدلاليّة، والوظائف التركيبيّة، وهي أنّها مرتبطة بالمقام؛ أي أنّ تحديدها لا يمكن أن يتمّ إلاّ انطلاقاً من الوضع التخابري القائم بين المتكلّم والمخاطب في طبقة مقاميّة معيّنة، وتتحدّد هذه العلاقة في إطار معارف المتكلّم حَوْل العالم الخارجي[١].

ويقسّم المتوكل الوظائف التداولية إلى وظائف تداولية داخلية وأخرى خارجيّة:

أولاً: الوظائف التداولية الداخلية: وهي تشكّل موضوعاً من موضوعات الحمل، وهما وظيفتان: البؤرة والمحور.

أ- البؤرة: وتسند وظيفتها إلى المكوّن " الحامل للمعلومة الأكثر أهميّة أو الأكثر بروزاً في الجملة"[٢]. ويميّز المتوكّل بين نوعين من البؤرة؛ لمطابقة كلٍّ من النّوعين لطبقات مقاميّة متمايزة، وظهور كل منهما في أنماط بنيويّة مختلفة وهما:

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص١١٢.

(٢) المرجع نفسه- ص٢٨.

١- بؤرة الجديد: وهي البؤرة المسندة إلى " المكوّن الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلّم والمخاطب) [١].

وتسند هذه الوظيفة إلى أحد مكوّنات الجملة مثل: عاد زيدٌ من السّفر البارحة. وقد تسند إلى الجملة برمّتها مثل : عمرو، عاد أخوه من السّفر.

٢- بؤرة المقابلة: وهي البؤرة المسندة إلى " المكوّن الحامل للمعلومة التي يشكّ المخاطب في ورودها أو ينكرها"[٢]. وتظهر بنية المقابلة في اللّغة العربيّة، في أنماط بنيويّة أساسيّة، تشترك في أنّها وسائل للتعبير عن موقف معيّن يتخذه المتكلّم إزاء ما يعتقده المخاطب في مقام تخاطبيّ معيّن؛ إلا أنّها بالرّغم من ذلك تتباين بالنّظر إلى ما تؤديه من أغراض تخاطبيّة، وما تستعمل فيه من مقامات؛ لذا يقترح المتوكّل تفريع بؤرة المقابلة إلى البؤر الأربع التالية:

١- بؤرة الانتقاء: وتسند إلى " المكوّن الحامل للمعلومة المنتقاة من بين مجموعة من المعلومات على اعتبار أنها المعلومة الواردة"[٣]. وتأخذ البنيات التصديريّة هذا النّوع من البؤر عن طريق تصدير أحد المكوّنات أي إحلاله الموقع السابق لموقع الفعل. ويستعمل التصدير وسيلة الرد على مخاطب متردد بين معلومات متعددة، ويطلب تعيين المعلومة الواردة.

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص٢٩.

(٢) المرجع نفسه- ص٢٩.

(٣) أحمد المتوكّل- الوظيفة والبنية، ص١٤٩.

ويجوز التصدير حين يكون المصدَّر[١]:

أ- مستقبلاً : هنداً أهدى خالدٌ باقة ورد.

ب- مقبلاً : باقَة وردٍ أهدى خالد هنداً.

ج- أداة: بالسكّين قطعت هندٌ اللحم.

د- زماناً : صباحَ اليوم غادر بكرٌ المدينة.

هـ- مكاناً: في الشارعِ قابلت زوجَ هند.

و- حالاً: غاضباً كلم خالدٌ صديقَه.

ويمتنع التصدير حين يتعلّق بالمكوِّن " المصاحب " أو المكوّن " الفاعل " فإن الناتج لا يكون إلا ببنية مبتدئة بتصدّرها مكوّن خارجيّ يربط إحالياً بالضمير اللاصق بالفعل.

٢- بؤرة الحصر: وتسند بؤرة الحصر إلى " المكوّن الحامل للمعلومة التي تحصر مجموعة من القيم في قيمة (أو أكثر من قيمة) تعد القيمة الواردة"[٢]. وتظهر هذه البؤرة في التراكيب المتضمّنة لأداة حصر.

ويتم الحصر، في اللّغة العربيّة، بالأداة "إنّما " نحو: إنّما يعشق خالد هنداً، أو بأداة نفي وإلاّ نحو: ما يعشق خالدٌ إلاّ هنداً.

ويشير المتوكّل إلى أنّ الفكر اللّغوي العربيّ أدخل البنيات من النّوع الأخير في باب الاستثناء لا الحصر بالرّغم من تباينهما[١].

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظيفة والبنية، ص١٢٦.

(٢) المرجع نفسه- ص١٤٩.

وتستعمل كل من الأداتين في مقام الرّدّ على المخاطب المعتقد أنّ مجموعة من الذوات تتقاسم خاصيّة ما، ويكون حيزهما أحد مكونات الحمل[٢].

وتختصّ الأداة " إنّما " بالدلالة على التنبيه[٣] حين ترد متصدّرة لحمل يتقاسم معرفة محتواه كل من المتكلم والمخاطب، ويكون حيّزها الحمل بكامله. نحو: إنّما العلم نور.

٣- بؤرة التثبيت: تسند بؤرة التثبيت إلى " المكوّن الحامل للمعلومة التي يصادق المتكلّم علىّ ورودها"[٤]، وتظهر هذه البؤرة في التراكيب شبه المفصولة نحو: التي يعشقها خالد هند. ويعد الفصل عمليّة لإبراز أحد مكوّنات الحمل بعزله " فصله " عن باقي المكوّنات.

إنّ الغرض التخاطبي الذي يتحقق باستعماله التراكيب شبه المفصولة، تثبيت معتقدٍ من معتقدات المخاطب يتأرجح بين وروده أو عدم وروده[٥].

٤- بؤرة القلب: وتسند بؤرة القلب إلى " المكوّن الحامل للمعلومة التي يعوّض بها المتكلّم معلومة يعدّها غير واردة"[٦]. وتَرِدُ هذه البؤرة في البنيات الإضرابيّة.

ويتمّ الإضراب، في اللّغة العربية، بـــ:

أ- لا : نحو : يعشق خالد هنداً لا زينب.

ب- ما .. بل نحو : ما زينب يعشق خالد بل هنداً.

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظيفة والبنية، ص١٢٩.

(٢) المرجع نفسه- ص١٣٣.

(٣) المرجع نفسه- ص١٣٣.

(٤) المرجع نفسه- ص١٤٩.

(٥) المرجع نفسه، ص١٣٦.

(٦) المرجع نفسه، ص١٤٩.

وفي هذه البنيات يعتقد المتكلّم أنّ المعلومة الواردة غير ما يرشّحه المخاطب[١].

ويمكن توضيح الفروق التداوليّة بين العمليّات الأربع بالرسم الآتي[٢]:

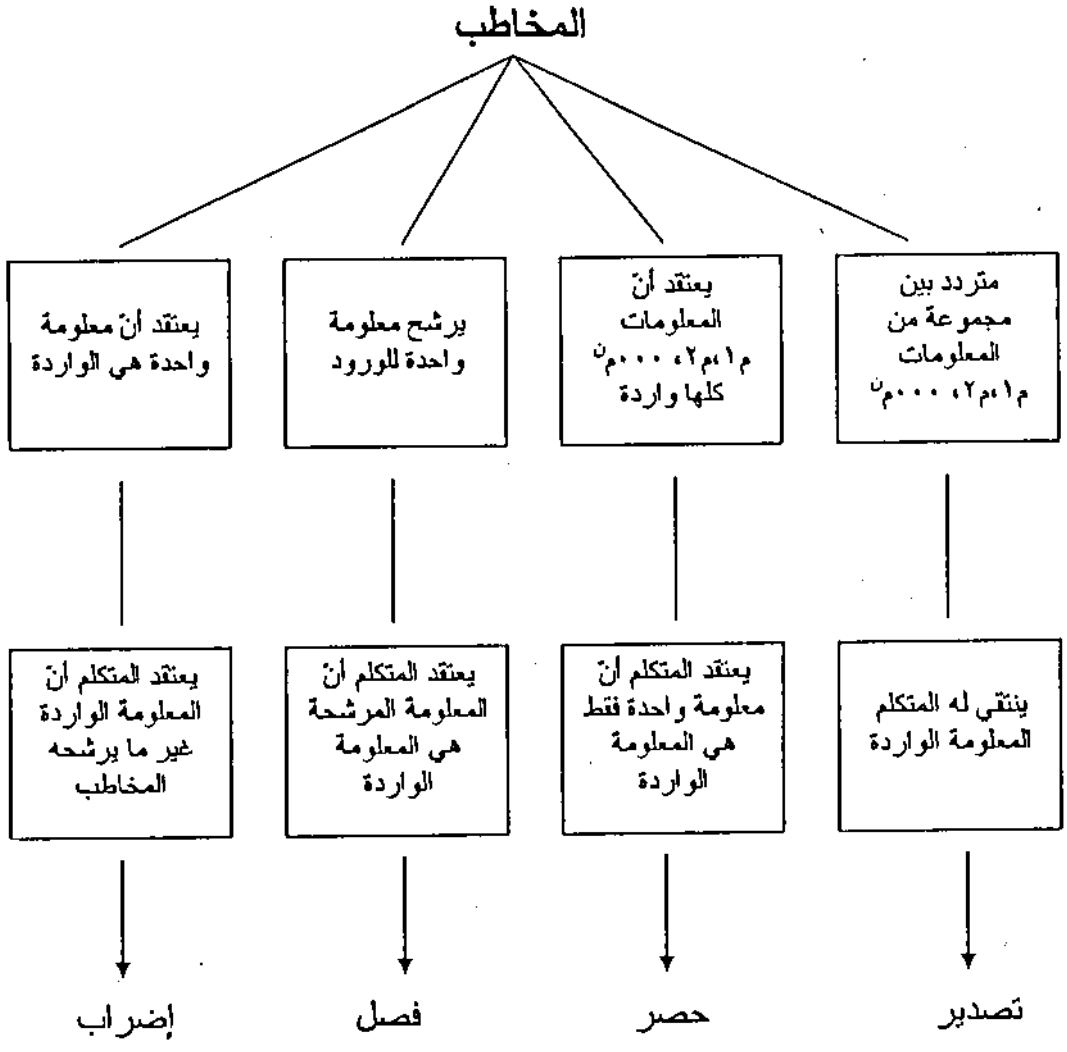

ويكون هذا التنميط مستجيباً للمبدأ الوظيفي العام القاضي بعدم الترادف التداولي بين العبارات اللغويّة المتباينة بنيويّاً، إذ إنّ كل نمط معيّن من البنيات يطابق نمطاً معيّناً من المقامات ويؤدي نمطاً معيناً من الأغراض التخاطبيّة.

---

(١) أحمد المتوكل- الوظيفة والبنية، ص١٣٩.

(٢) المرجع نفسه- ص١٤٠.

ويتحكّم قيد أحاديّة الإسناد في إسناد وظيفة البؤرة على مستوى البنية الوظيفيّة[١]، فموضوعات البنية الحمليّة تحمل وظائف دلالية، ووظائف تركيبيّة، ووظائف تداوليّة على أساس أن:

١- لا موضوع يحمل أكثر من وظيفة واحدة من كل نوع من الوظائف الثلاث في الحمل نفسه.

٢- لا وظيفة- باستثناء الوظائف التداوليّة- تسند إلى أكثر من موضوع واحد داخل الحمل نفسه.

وتحظى بعض المكوّنات بالأسبقيّة في التبئير[٢]، وهي المكوّنات الحاملة للوظائف الدلاليّة: الحال، والعلّة، والمكان، والزّمان، والمكوّنات المسوّرة مثل (كل، وجميع، وبعض)، والمكوّنات الداخلة عليها حتّى.

ويأخذ المكوّن المبأر حالته الإعرابيّة بمقتضى وظيفته الدلاليّة أو وظيفته التركيبيّة، دون أن يكون لوظيفته التداوليّة دور في تحديد حالته الإعرابيّة؛ لأنّه مكوّن داخلي يحمل، بالتالي وظيفة دلاليّة، وأحياناً وظيفة تركيبيّة[٣].

ولئن كانت وظيفة البؤرة لا تؤدي دوراً في تحديد إعراب المكوّن المسندة إليه، فإنّها تحدد موقعه داخل الحمل، فالمكوّن المسند إليه وظيفة بؤرة الجديد في الجمل الخبريّة،

---

(١) أحمد المتوكل- الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ص٤٠.

(٢) المرجع نفسه- ص٤٢.

(٣) المرجع نفسه- ص٤٨.

الذي تخوّله وظيفته الدلاليّة أو التركيبيّة، بيد أنّ المكوّن المسندة إليه وظيفة بؤرة المقابلة يحتلّ وجوباً صدر الجملة[١].

٢- المحور (Topic): وهي وظيفة داخليّة تسند إلى " المكوّن الدال على ما يشكّل المحدّث عنه داخل الحمل"[٢].

ويأخذ المحور وظيفته بمقتضى الوضع التخابري القائم بين المتكلّم والمخاطب في طبقة مقاميّة معيّنة.

وتسند وظيفة المحور إلى أحد موضوعات البنية التحتيّة، الحامل لوظيفة دلاليّة، والمسندة إليه، أحياناً، إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل والمفعول)، كما يخضع إسناد وظيفة المحور إلى قَيْد أحاديّة الإسناد.

ويقترح المتوكّل سلميّة لإسناد وظيفة المحور كالآتي[٣]:

سلّمية إسناد وظيفة المحور:

فاعل > (مفعول / مستقبل / مستفيد / زمان / ــــ / ــــ / ــــ)

---

(١) أحمد المتوكل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص٦٤.

(٢) المرجع نفسه- ص٦٩.

(٣) المرجع نفسه- ص٧٤.

وممّا يزكّي أسبقيّة الفاعل في أخذ الوظيفة التداوليّة المحور، أنّ النّحاة العرب قد حصروا لعلاقة ما أسموه بالإسناد بين الفعل (أو ما يقوم مقامه) والفاعل (أو نائبه) مصطلحين على تسمية الأول " مسنداً "، والثاني " مسنداً إليه "[١].

ويأخذ المكوّن المسند إليه-وظيفة المحور، باعتباره مكوّناً داخليّاً حالته الإعرابيّة بمقتضى وظيفته الدلاليّة أو وظيفته التركيبيّة[٢].

ويحتلّ المكوّن المسند إليه وظيفة المحور الموقع الذي تقتضيه وظيفته الدلاليّة ووظيفته التركيبيّة، إلاّ أنه حسب اتجاه عام يحتل موقعاً بعد الأدوات الصّدور كأداتي الاستفهام وإن وما النافية[٣].

ثانياً: الوظائف الخارجيّة: وهي ثلاث وظائف خارجيّة، تقع خارج الحمل على النّحو الآتي:

١- المبتدأ: وهي وظيفة " تحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنّسبة إليه وارداً"[٤]

فجملة [زيد، قام أبوه] تتركّب من ركنين أساسيّين:

أ- حمل: قام أبوه.

ب- مبتدأ: زيد، وهو الذي يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه وارداً.

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ص٧٥.

(٢) المرجع نفسه- ص٧٦.

(٣) المرجع نفسه- ص٨٤.

(٤) المرجع نفسه- ص١١٥.

ويعد المبتدأ وظيفة تداولية بسبب ارتباطه بالمقام، وتكمن خارجيّته في استقلاله بنيويّاً عن الحمل. مبتدأ، [حمل]، فهو لا يشكّل موضوعاً من موضوعات الحمل، وبالتّالي لا يخضع لقيود الانتقاء التي يضعها الفعل بالنّسبة لموضوعاته، ولا يخضع لمطابقة المحمول، كما أنّ القوّة الإنجازيّة للجملة من (إخبار أو استفهام أو أمر أو وعد...) لا تشمل المبتدأ، وإنّما تنصبّ على الحمل وحده[١].

ويشترط في المبتدأ أن يكون معرّفاً، ولا يُعتَمد المعيار التركيبي (دخول الألف واللاّم) فمن وجهة وظيفيّة يعتمد المعيار التداولي في تحديد معرفيّة المبتدأ، أي إذا كان المخاطب قادراً على التعرّف على ما تحيل عليه العبارة[٢]، وهو ما يوافق نظرة النّحاة العرب في معرض حديثهم عن ضرورة تعريف المبتدأ " فالإخبار عن المجهول لا يفيد".

يأخذ المبتدأ الحالة الإعرابيّة الرّفع بحكم وظيفته التداوليّة؛ لأنّه مكوّن خارجيّ لا يحمل وظيفة دلالية أو تركيبيّة[٣].

وقد يلتبس المكوّن المبتدأ بالمكوّن المحور المتصدّر في الجملة، وبالرّغم من الخصائص التي تقارب بينهما إلاّ أنّ المحور محدث عنه داخل الحمل يأخذ وظيفة دلاليّة ووظيفة تركيبيّة، في حين أنّ المبتدأ محدّث عنه خارجيّ بالنّسبة للحمل[٤].

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ص١٢٣.

(٢) المرجع نفسه- ص١١٩.

(٣) المرجع نفسه- ص١٢٨.

(٤) المرجع نفسه- ص٧٠.

زيد ، [أبوه مسافر]

محدّث عنه محدث عنه حديث

مبتدأ محور

ويرى المتوكّل أنّ النّحاة العرب لم يميّزوا أيضاً بين المبتدأ آتياً في أوّل الجملة، وبينه آتياً في آخرها إلاّ من حيث الموقع[١]، إذ أضافوا إليه في الحالة الأخيرة وصف " مؤخر"، ويرى أن يسند إلى هذا المكوّن وظيفة الذيل الذي من شأنه أن يضيف إخباراً من شأنه أن يوضّح إذ يصحح أو يعدّل ما ورد في الجملة، ففي جملة:

أبوه مريض، زيد

يعد زيد إضافة توضيحيّة للضمير في أبوه.

وقد تلتبس وظيفة المبتدأ بوظيفة البؤرة في حالة تصدّر المكوّن المبأر الجملة على الرّغم من الاختلاف بينهما، فوظيفة البؤرة تلحق بالمكوّن الحامل للمعلومة الجديدة، أي تلك التي لا تدخل في نطاق المعرفة المشتركة، في حين يحمل المبتدأ المعلومة الداخلة في نطاق المعرفة المشتركة إذ إنّه يحدد مجال الخطاب[٢].

٢- الذّيل: يحمل الذّيل " المعلومة التي توضّح معلومة داخل الحمل أو تُقدّمها أو تصححها"[٣]. ويميّز المتوكّل – وفق هذا التعريف – بين ثلاثة أنواع من الذيول[٤]:

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص١٣٥.

(٢) المرجع نفسه- ص١٣٩.

(٣) المرجع نفسه- ص١٤٧.

(٤) المرجع نفسه- ص١٤٨.

١- ذيل التوضيح:وفيه يضيف المتكلّم معلومة تستهدف إزالة إبهام وارد في الحمل، لذا يشترط أن يكون عبارة محيلة تمكّن المخاطب من التعرّف على ما تحيل عليه[١]، ويظهر ذيل التوضيح في نمط البنيات التي يعدّها النّحاة العرب من قبيل " المبتدأ المؤخر" نحو:

أخوه مسافر، زيد.

ومن قبيل البدل نحو: نجحا، الطالبان.

٢- ذيل التعديل: وفيه يعدّل المتكلّم المعلومة التي قدّمها إلى المعلومة المقصودة، ويظهر ذيل التعديل في البنيات البدليّة نحو: قرأت الكتاب، نصفَه.

٣- ذيل التصحيح: ويقصد بالتصحيح قيام المتكلّم بإحلال معلومة غير تلك التي ذكرها. ويستأثر ذيل التصحيح في البنيات الإضرابيّة نحو:

قابلت اليوم زيداً ، بل خالداً

ولا يشترط في ذيل التعديل والتصحيح أن يكونا عبارتين محيلتين؛ لأنّ المعلومة التي يحملها كل منهما لا يقصد بها إزالة الإبهام عن معلومة واردة في الحمل عن طريق تعيين ما تحيل عليه. وقد أشار النحاة العرب إلى أنّ البدل لا يطابق ضرورة المبدل منه في تعريفه وتنكيره[٢].

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص١٥٤.

(٢) المرجع نفسه- ص١٥٥.

ويأخذ المكوّن الذيل في البنيات المذيلة بذيل التوضيح الحالة الإعرابيّة الرّفع بمقتضى وظيفته التداوليّة نفسها، أمّا في ذيل التعديل وذيل التصحيح فإنّ الذيل يأخذ حالته الإعرابيّة بمقتضى الوظيفة الدلاليّة أو الوظيفة التركيبيّة التي يرثها عن المكوّن المقصود تعديله أو تصحيحه باعتباره عوضاً عنه(١).

ويحتل المكوّن الذيل موقعاً بعد الحمل؛ لأنه يستدرك به معلومة واردة في الحمل ليوضحها أو يعدلها أو يصحّحها(٢).

٣- المنادى: يرى المتوكّل أنّ الوصف اللّغوي السّاعي إلى الكفاية لا يمكن أن يغفل المكوّن المنادى، لوروده في سائر اللّغات الطبيعيّة ولغنى خصائصه(٣).

وتسند وظيفة المنادى " إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معيّن"(٤). ويشترط في إسنادها(٥):

١- أن يكون المنادى محيلاً على كائن حيّ، فتعدّ الجملة لاحنة إذا خرقت هذا القيد نحو: يا كرسيّ، حضر الضيوف.

٢- أن يكون المنادى محيلاً على المخاطب، فالجملتان الآتيتان المشتملتان على مكوّن منادى محيل على المتكلّم والغائب جملتان لاحنتان:

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص١٥٧.
(٢) المرجع نفسه- ص١٥٨.
(٣) المرجع نفسه- ص١٦٠.
(٤) المرجع نفسه- ص١٦١.
(٥) المرجع نفسه- ص١٦٤.

أ. يا زيد، قد نجحت.

ب. يا زيد، قابلت أخاه.

بخلاف الجملة: يا زيد، قابلت صديقك.

ويتمّ إدماج أدوات النّداء وفق القواعد التاليّة[1]:

أ- تدمج أداة النّداء الصّفر إذا كان المنادى علماً، أو مركّباً إضافيّاً نحو:

أسامة، ناولني الملح.

صديق أسامة، أقبل.

ب- تدمج أداة النّداء يا إذا كان المنادى عَلَمَاً، أو مركباً إضافيّاً، أو جملة موصولة بمن، أو مركب اسمي نكرة، أو مركب إشاري نحو:

يا خالد، اقترب.

يا صديق أسامة، أقبل.

يا من ينتظر زيداً، إنّه قد وصل.

يا رجلاً، تكلّم.

يا هذا الرّجل، تقدّم.

جـ- تدمج أداة النّداء " أ " إذا كان المنادى علماً، أو مركباً إضافياً، أو جملة موصولة بمن نحو:

أزيد، زر أخاك.

---

(1) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص١٧٠.

أصديق زيد، أقبل.

أمن ينتظر زيداً، إنّه قد وصل.

د- تدمج أداة النداء " أيّها " إذا كان المنادى مركّباً اسمياً معرفة، أو مركباً إشاريّاً أو جملة موصولة بـــ " الذي " نحو:

أيها الرّجل اقترب.

أيها ذا الرّجل، تقدّم.

أيّها الذي ينتظر زيداً، إنّه قد وصل.

ومما يؤكد خارجيّة المكوّن المنادى ما يلي[١]:

١- أنّه يخالف دائماً من حيث قوّته الإنجازية (النداء) الحمل، كما يظهر في الجمل الآتية:

أ. يا زيد ساعد أخاك.

ب. يا زيد، هل عاد أخوك؟

ج. يا زيد، قابل خالد عمراً البارحة.

٢- لا يشكّل المنادى موضوعاً من موضوعات المحمول، ولا تسند إليه بالتّالي وظيفة دلالية أو تركيبيّة.

ويأخذ المنادى الحالة الإعرابيّة النّصب سواء تحقق النصب سطحاً أو لم يتحقق بمقتضى وظيفته التداوليّة، وعند النحاة العرب بمقتضى فعل محذوف نقديره أدعو[١].

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ١٧١.

ويحتل المكون المنادى موقعاً من المواقع الخارجيّة، متصدراً الجملة متقدّماً على كل من المبتدأ والحمل[٢].

الوظائف التركيبية:

١- الفاعل:

تسند الوظيفة الفاعل إلى " الحد الذي يشكّل المنظور الأول الرئيسي للوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة الدال عليها محمول الجملة "[٣]. وهو ما يتفق مع نظرة النحاة العرب، فالفاعل لا يحذف لكونه عمدة، وهو ما أكده علماء النحو القدامى، ومنهم المبرّد الذي يقول " لا بد لكل فعل من فاعل ... فقد صار الفعل والفاعل بمنزلة شيء واحد، إذ لا يستغني كل واحد منهما عن صاحبه"[٤].

ومنهم ابن يعيش الذي يقول:" إذا حُذِفَ الفاعل وجب رفع المفعول وإقامته مقام الفاعل، وذلك من قبل أنّ الفعل لا يخلو من فاعل حقيقة، فإذا حذف فاعله من اللّفظ، استقبح أنّ يخلو من لفظ الفاعل، فلهذا وجب أن يقوم مقامه اسم آخر مرفوع"[٥].

وتعدّ وظيفة الفاعل واردة بالنّسبة لوصف اللغة العربية، وتعلّل هذه الوظيفة الخصائص البنيوية التي تميّز المكوّن المسندة إليه في مستوى البنية المكونية.

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللّغة العربيّة، ص١٨٠.

(٢) المرجع نفسه- ص١٨٠.

(٣) أحمد المتوكل- الوظيفة المفعول، ص٦٠.

(٤) المبرد- المقتضب، ج(٤)، ص٥٠٠.

(٥) شرح المفصل، ج(٧)، ص٧٠.

وتسند وظيفة الفاعل إلى الحد الحامل للأدوار الدلاليه، حسب السلّمية الآتية التي يقترحها المتوكل:

سلّمية إسناد الفاعل[١]:

منفذ قوة متموضع حائل	مستقبل	>	متقبل	حدث زمان مكان

فا + > + > + >

ومن أمثلة ذلك:

١- كتب زيد (منفذ فاعل) مقالاً.

٢- حطم الرعد (قوة فاعل) الدار.

٣- وقف زيد (متموضع فاعل) بباب الحجرة.

٤- خالد (حائل فاعل) فرح.

٥- حُزِن حزنٌ (حدث فاعلَ) شديد على ذهاب زيد.

٦- أُعطي عمرو (مستقبل فاعل) حقيبة.

٧- خرج من الدار (مكان فاعل).

٨- صيم يوم الخميس (زمان فاعل).

---

(١) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٤٢.

أمّا المكونات التي تحمل الوظائف: المستفيد، والمفعول لأجله، والحال، والمفعول معه، فلا تحتل وظيفة الفاعل[١]، وعليه فإنه لا يقال:

- اشْتُرِيَ (لزيد) حقيبة، لأن زيداً مستفيد.

- وُقِفَ (احتراماً) للمعلم، لأنه مفعول لأجله.

- جِيءَ (راكباً) على الحصان، لأنه حال.

- سِير (والشاطئ)، لأنه مفعول معه.

ويتأثر المكوّن المسند إليه وظيفة الفاعل بالأسبقية في أخذ الوظيفة التداولية المحور، لما بين الوظيفتين الفاعل والمحور من ترابط[٢].

ويفرق المتوكل بين وظيفة المبتدأ ووظيفة الفاعل حينما يتصدران الجملة[٣]، ففي الجملتين: عمرو أكرمته

زيد قائم

يرى أنّ عَمْراً مكون خارجي بالنسبة للحمل يحمل وظيفة المبتدأ، أما زيد فهو مكوّن داخلي يدخل في القوة الإنجازيّة، ولا يتقدّم على ما له الصدارة من شرط أو استفهام، فتقول: أعمرو في الدار أم علي؟ ولا نقول: عمرو أفي الدار؟

وقد تتقدم عليه مكونات أخرى:

غداً عمرو مسافر

---

(١) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٤٠.

(٢) المرجع نفسه- ص٦١.

(٣) المرجع نفسه- ص٥٠.

في حين يرى النحاة القدامى أن الفاعل في البنيات من نحو (زيدٌ قائم) مستتر في بنية الجملة ولا ينظرون إلى زيد على أنه فاعل.

ويأخذ المكون الفاعل، في اللغة العربية، الحالة التي تقتضيها وظيفته التركيبية نفسها، أي الحالة الإعرابية الرّفع[١].

لقد كان النحو العربي أوضح في تحديد الحالات الإعرابية، فالفاعل يتحدد كونه فاعلاً إذا قام بالحدث أي إذا كان منفذاً (وظيفة دلالية)، وهذا يمنحه الرفع، وبذلك تسهم الوظيفتان التركيبية والدلالية في منحه هذه الحالة الإعرابية، أما النحو الوظيفي فقد ابتدع للفاعل، إلى جانب وظيفته التركيبية، وظيفتين أخريين وهما، الدلالية والتداولية، دون أن تكون لها أهمية في تحديد إعرابه[٢].

٢- المفعول:

تعرّف الوظيفة التركيبيّة المفعول في إطار مفهوم الوجهة، فتسند إلى الحَدّ الذي يشكّل المنظور الثاني للوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة الدال عليها محمول الحمل"[٣]، وهذا التعريف يتّفق مع ما ذهب إليه النّحاة العرب، فلا يصلح أن يقوم مقام الفاعل في الجمل المبنيّة للمجهول إلاّ المفعول به.

ومّما يدعم ورود هذه الوظيفة في اللّغة العربيّة[٤]:

---

(١) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٤٦.

(٢) عطا موسى- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص٣٤٩.

(٣) أحمد المتوكّل- الوظيفة المفعول، ص٦١.

(٤) المرجع نفسه، ص٦٣.

١- إمكان إسناد هذه الوظيفة إلى حد آخر غير الحد الكامل للوظيفة الدلاليّة " المنقبل".

٢- توافر التراكيب التي يلي فيها الفعلَ والفاعلَ مركّبان اسميّان غير مسبوقين بحرف.

٣- توافر البنيات التعليليّة.

٤- توافر البنيات التصعيديّة.

٥- تحديد الوظيفة المفعول لموقع المكوّن المسندة إليه وحالته الإعرابيّة.

تسند الوظيفة المفعول، في اللغة العربية، إلى الحدود الحاملة للوظائف الدلاليّة حَسَبَ سلّمية يحتلّ فيها الرتبةَ الأولى الحدُ الحاملُ للوظيفة المستقبل.

سلّمية إسناد المفعول[1]:

مستقبل منقبل [زمان، حدث، مكان]

مف + > + < +

ومن أمثلة ذلك: ١. أعطى خالد عَمْراً قلماً.

٢. شرب عمرو لبناً.

٣. سار القوم سيراً حثيثاً.

٤. صام عمرو يوم الجمعة.

٥. سرتُ فرسخين.

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظيفة المفعول، ص٦٨.

ويجدر التنبيه إلى أن مفهومَ المفعول لا يطابق مفهوم المفعول به في النّحو العربي، فمفهوم المفعول يسند حسب شروط معيّنة إلى حدود حاملة لوظائف دلاليّة بما فيها الحدود التي يعدّها النّحاة العرب مفعولاً مطلقاً، ومفعولاً فيه[١].

يأخذ المكوّن المفعول الحالة الإعرابية المجرّدة النصب بمقتضى وظيفته التركيبيّة (المفعول) أيّاً كانت وظيفته الدلاليّة ووظيفته التداوليّة[٢].

ويحتل المكوّن المفعول موقعاً بعد الفاعل بمقتضى وظيفته التركيبيّة نحو:

ألّف خالدٌ كتاباً.

يحتلّ الموقع الصدر حيث يكون حاملاً لوظيفة بؤرة مقابلة أو محور أو إذا كان اسم استفهام[٣] نحو:

١. فاطمةَ أعطى خالد القميص.

٢. الكتابُ اشتراه خالد.

٣. من أعطى خالد القميص؟

ويقترح المتوكّل إسناد وظيفة المفعول إلى مكوّن واحد في البنيات التي تعورف على اعتبارها متضمّنة أكثر من مفعول واحد: البنيات الدالّة على" انتقال الملكية " و"البنيات

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظيفة المفعول، ص٦٦.

(٢) المرجع نفسه- ص٧٤.

(٣) المرجع نفسه- ص٧٦.

التصعيدية " و" البنيات التعليليّة ". ويستقطب هذه الوظيفةَ المكونُ "المستقبلُ" في البنيات الأولى والمكون " الفاعل " في البنيات الثانية، والمكوّن " المعلّل في البنيات الثالثة[١].

يتناول المتوكّل الجملة الاستفهاميّة في إطار دراسة ظاهرة التبئير، فتتحقق بؤرة الجديد في الجمل الاستفهاميّة المتضمّنةَ اسم استفهام (من، ماذا، متى...) إذا كانت مسندة إلى أحد مكوّنات الحمل[٢].

ويكثر دخول هل الاستفهاميّة على بؤرة الجديد المسندة إلى الجملة[٣] نحو:

هلْ حضر الضيوف؟

وتدخل همزة الاستفهام سواء أكانت بؤرة المقابلة بؤرة مكوّن نحو: أغدا ألقاك؟ (أم بعد غد)، أم كانت بؤرة جملة نحو: أحضر الضيوف؟ أم لا. ولَعَلّ هذا ما قصده النّحاة العرب حين قالوا إنّ الهمزة تستعمل لطلب التصوّر كما تستعمل لطلب التصديق[٤].

ويشير المتوكّل إلى أنّ اللّغة العربيّة تنزع في تطوّرها،حسب مبدأ الاقتصاد، إلى تقليص أدوات الاستفهام، بل إلى الاستغناء عنها وتعويضها بالتنغيم[٥]، من ذلك أنّ اختصاصات همزة الاستفهام آلت إلى هل والتنغيم كما يتبيّن في المثالين الآتيين:

١- هل زرت أخاك أم لا؟

---

(١) أحمد المتوكّل- الوظيفة المفعول، ص١١٢.

(٢) أحمد المتوكّل- الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص٣٤.

(٣) المرجع نفسه- ص٣٤.

(٤) المرجع نفسه- ص٣٣.

(٥) أحمد المتوكّل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص١٣٦.

٢- زرت أخاك أم لا.

يرتبط موقع المكوّن المستفهم عنه، سواء أكانت بؤرة جديد (اسم استفهام)، أم بؤرة مقابلة بموقع مؤشر الاستفهام (أداة أو علامة تنغيمية) [١]:

أ- ينزع المكوّن المستفهم عنه إلى تصدّر الحمل في اللّغات التي تصدّر أداة الاستفهام كاللّغة العربيّة الفصحى.

ب- ينزع إلى الاحتفاظ بموقعه العادي داخل الحمل في اللّغات التي يتموقع فيها مؤشر الاستفهام (أداة أو علامة تنغيمية) في آخر الجملة.

ويشير المتوكّل أنّ للجمل الاستفهاميّة قوة إنجازية حرفيّة مدلولاً عليها بصيغة الجملة، إلاّ أنّ بعض الجمل تحمل، إضافة إلى قوّتها الحرفيّة، قوّة إنجازيّة مستلزمة مقاميّاً[٢]، ومن أمثلة ذلك:

الجملة	غرض الاستفهام
١- هل تشرب شاياً؟	العرض
٢- ألم أعطك المال؟	الإثبات
٣- هل يستوي الذي يعلم بالذي لا يعلم؟	النفي
٤- هل تعينني على حل المشكلة؟	الالتماس
٥- أتغنّي في مأتم؟	الإنكار

---

(١) أحمد المتوكّل- دراسات في نحو اللغة العربية، الوظيفي، ص١٧٢.

(٢) المرجع نفسه- ص١٦١.

الرتبـــة:

يتعرّض المتوكّل لكيفيّة ترتيب العناصر داخل الجملة، وهو يشير إلى أنّ البنية التحتيّة " تشكّل شبكة من العلاقات الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة تقوم بين وحدات معجميّة، المحمول وحدوده، دون أن يربط بين هذ الوحدات أيّ علاقة توالٍ"[١]، فهي بنية تحتيّة غير مرتّبة.

ويتمّ تحديد الرّتبة في مستوى بنية المكوّنات بوساطة صياغة قواعد موقعه (Placement rules) تتخذ دخلاً لها بنية دلاليّة- تداوليّة غير مرتّبة. لا طابع تحويلي لهذه العلاقة، إذ إنها لا تنقل بنية رتبيّة أخرى[٢].

وتتفاعل الوظائف التداوليّة، والتركيبيّة، والدلاليّة في إسناد الرّتبة، حيث تأخذ الوظيفة التداوليّة الغلّبة في تحديد رتبة المكوّنات على الوظيفتين التركيبيّة والدلاليّة، مثال ذلك المكوّن " هنداً " في الجملة التالية:

هنداً عشق خالدٌ

الذي يحتلّ الموقع الصدر بحكم وظيفته التداوليّة، بيْد أنّ الموقع الذي تقتضيه وظيفته التركيبيّة المفعول هو الموقع الذي يلي الفاعل.

أمّا المكوّنات الخارجيّة فلها رتبة قارّة[٣]، كما يتبيّن من البنية العامّة التالية:

(منادى) مبتدأ [جملة]، ذيل، منادى.

---

(١) أحمد المتوكّل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٢٢١.

(٢) المرجع نفسه- ص٢٢٤.

(٣) المرجع نفسه- ص٢٢٦.

فالمتبدأ يتقدّم على الجملة، والذّيل يتأخّر عنها، في حين يحتلّ المنادى الموقع المتقدم على موقع المبتدأ، أو الموقع الموالي لموقع الذيل.

ويشير المتوكّل إلى مبادئ رتبيّة عامّة ترمي إلى وصف ظواهر الرّتبة وتفسيرها في اللّغات الطبيعيّة، ومن هذه المبادئ:

١- مبدأ الترتيب العاكس (Principle of iconic ordering): تخضع المكوّنات لمبدأ الترتيب العاكس حيث يرد ترتيبها عاكساً بكيفية من الكيفيّات للفحوى الدلالي للعبارة التي تتضمّنها"[١].

ومن ذلك أنّ الجملة الشرطية تنزع إلى أنْ تتقدّم على الجملة الرئيسيّة نحو الجملة: إذا أردت أن تنجح، وجب أن تجتهد.

بالمقارنة بالجملة: وجب أن تجتهد، إذا أردت أن تنجح.

٢- مبدأ الاستقرار الوظيفي (Principle of functional Stability): تحتل المكوّنات الحاملة لنفس الوظائف نفس المواقع[٢]. فمثلاً، يحتّل المكوّنان الفاعل والمفعول الموقعين المخصصين لهما في البنية الرّتبية.

---

(١) أحمد المتوكل- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكوّنات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص٢٤٥.

(٢) المرجع نفسه- ص٢٤٦.

٣- مبدأ الإبراز التداولي (Principle of pragmatic highlighting): تتموقع المكوّنات الحاملة لوظائف تداولية خاصّة (المحور، والبؤرة) في مواقع خاصة تشمل على الأقل الموقع الصدر[١].

يقتضي المبدأ أنْ تحتلّ المكوّنات مواقع أخرى غيرمواقعها العاديّة لأسباب تداوليّة. مثال ذلك احتلال المكوّن المفعول للموقع الصدر في الجملة إذا كان هذا المكوّن يحمل الوظيفة التداوليّة البؤرة كما هو الشأن في الجملة التالية:

كتاباً طالعَ خالد

٤- مبدأ تمام المجال (Principle of domain Integrity): تنزع المكوّنات المنتمية إلى مجال ما أنْ تظلّ داخل مجالها"[٢]. ويستفاد من هذا المبدأ أنّ مكوّنات مجال ما، تفضّل ألاّ تتموقع في موقع خارج الحمل.

٥- مبدأ التعقيد المتزايد (Principle of Increasing Complexity): تنزع اللغات في ترتيب المكوّنات حسب التعقيد المتزايد"[٣]. ويستفاد من هذا المبدأ أن المكوّنات الأقل تعقيداً يفضّل أن تتقدّم على المكوّنات الأكثر تعقيداً، مثل جملة:

بلغَ المديرَ أنّ الموظفين تغيبوا جميعهم

---

(١) أحمد المتوكل- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكوّنات، ص٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه- ص٢٤٧.

(٣) المرجع نفسه- ص٢٥٠.

فالمكوّنات الأبسط مقولياً (الضمائر،المركّبات الاسميّة) تنزع إلى التقدّم على المكوّنات الأعقد مقولياً (المركبات الاسميّة، المعقدة، الجمل).ومن ذلك أنّه يتقدّم على الفاعل مكوّن آخر إذا كان الفاعل يفوق هذا المكوّن من حيث التعقيد المقولي[١] نحو الجمل التالية:

أ- بلغ زيداً أنّ خالداً سافر إلى الخارج.

ب- ساء خالداً سلوك الرجل الذي قابلناه البارحة.

ج- سَرّ هنداً نبأ عودة خالد من الخارج.

وتترتّب المكوّنات داخل الجملة الفعليّة، في اللّغة العربيّة، طبقاً للبنية الرتبيّة الأساسيّة (فعل، فاعل، مفعول، وظائف دلاليّة..)، وقد " يحدث تغيير في هذا الترتيب لأسباب تداوليّة فيتقدّم أحد المكوّنات على الفعل أو يتوسط بين الفعل والفاعل"[٢]، كما يظهر في الأمثلة الآتية:

١- شربَ الشايَ خالدٌ.

٢- تغيّب اليومَ طالبان.

٣- سافَرَتْ إلى فاس هندٌ.

٤- جاء باسماً عمرو.

٥- وقف احتراماً لأبيه.

---

(١) أحمد المتوكّل- دراسات نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص٧٨.

(٢) المرجع نفسه- ص٨٨.

٦- سار والنيل خالد.

ويناقش المتوكّل حدوث التغيير في الرتّبة ضمن ثلاث فرضيّات: فرضية الذيل، وفرضية الخفق، وفرضية المحور.

١. فرضيّة الذيل: استناداً لــ (ديك) إنّ " الفاعل المتأخر عن المفعول ليس، في أغلب الأحوال، إلاّ ذيلاً يحاول الضمير الفاعل اللاصق بالفعل"[١]، ويمكن تمثيل ذلك بالجملة:

درسن الدروس الطالبات

ف فا مف ذيل

٢- فرضية الخفق: وفيها يقترح الفهري أن يحلل هذا الضرب من التقديم على أساس أنّه عمليّة خفق (Scrambling) أي توسط المفعول بين الفعل والفاعل تعيد ترتيب المكوّنات محلّياً[٢]، دون أن تؤثر في معنى الجملة، ومن ذلك:

شرب خالد الشايَ ←——— شرب الشايَ خالد

ف فا مف ف مفا فا

٣- فرضية المحور:

ألمح لها الجرجاني الذي يعلّل التقديم انطلاقاً من المفهوم العام "العناية والاهتمام"؛ فيقدّم المتكلّم في حديثه المتهم به أو المعنى به الذي يهم المخاطب أمره، ويتوقع ذكره. ومن الأمثلة التي يسوقها الجرجاني جملة:

---

(١) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، ص٦٦.

(٢) المرجع نفسه- ص٦٩.

قتلَ الخارجيُّ زيْدٌ

فهو يرى أنّ الذي يستخدم العبارة هذه، يكون همه وقوع القتل بالخارجيّ، وهو موضع العناية والاهتمام هنا.

ويرى المتوكّل أنّ المهتم به يتقاسم معرفته المتكلّمُ والمخاطَبُ، ويشكّل محط اهتمامهما ممّا يؤهل هذا المكوّن أن تسند إليه الوظيفة التداوليّة " المحور"[١].

ظاهرة الاستلزام الخطابي (Conversational Implicature):

من الظواهر التي تناولها المتوكّل بالبحث ظاهرة الاستلزام الخطابي، فمعنى الجملة قد يتعدّى صيغتها الصوريّة إلى معَانٍ أخرى إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها[٢].

ويستند المتوكّل في وصف هذه الظاهرة على معطيات حديثة، وأخرى قديمة. فحديثاً يقترح (جرايس) أن توصف ظاهرة الاستلزام الخطابي انطلاقاً من مبدأ التعاون والقواعد المتفرّعة عنه (الكم، والكيف، والورود، والكيفيّة) بوصف مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لأحد" القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام، مبدأ التعاون[٣].

وقد اقترح (جوردن ولاكوف) في وصف الظاهرة قواعد مصورنة أسمياها بمسلّمات الحوار ترتكز على شروط صدق المتكلّم أو المخاطب[٤].

---

(١) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٧٣.

(٢) المرجع نفسه- ص٩٣.

(٣) المرجع نفسه- ص٩٥.

(٤) المرجع نفسه- ص٩٦.

وقديماً تمثّل اقتراحات السكّاكي ضبطاً لعلاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميّاً في إطار وصف لغويّ شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغويّة (من صرف، ونحو، وأصوات ومعانٍ، وبيان...).

ويحلل السكاكي ظاهرة الاستلزام على أساس مبدأ الخرق نتيجة لاجراء المعاني في مقامات غير مطابقة وبالتالي يتحول المعنى الصريح إلى معنى مستلزم[١].

يمكن أن تواكب العبارة اللغويّة قوّتان[٢]:

١- قوّة إنجازيّة حرفيّة: وفيها يحمل اللّفظ على ظاهر معناه.

٢- قوّة إنجازية مستلزمة: وتتولّد عن القوّة الإنجازية الحرفيّة، وتتمثّل في المعنى الجديد الذي تستلزمه الجملة في طبقات مقاميّة معيّنة.

ويرى المتوكّل أنّه يمثّل داخل النحو للقوّة الإنجازيّة التي لها انعكاس على الخصائص الصوريّة (التركيبيّة والصرفيّة والمعجميّة) للجملة، أمّا القوّة الإنجازيّة التي لا تأثير لها في هذه الخصائص تتمّ معالجتها خارج مجال النّحو. فمن العسير القيام بالتأويل الدلالي الكافي إذا أهملت القوّة الإنجازية[٣].

ويشير المتوكّل إلى انتقال القوّة الإنجازية المستلزمة إلى قوة حرفيّة، لكثرة تداولها واستعمالها، ففي جملة: ألم أخبرك؟ ثمّة نزوع إلى أنْ يصبح الإخبار المثبت القوّة

---

(1) أحمد المتوكل- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص١٠٠.

(2) أحمد المتوكّل- آفاق جديدة في نظرية النّحو الوظيفي، ص٢١.

(3) المرجع نفسه- ص٢٢.

الحرفية الوحيدة، التي تنعدم، نتيجة لذلك، حالات استعمالها بقصد السؤال(١). وهو ما يمكن أنْ يشكل دليلاً على أنّ نمط الجملة مستقلّ عن القوّة الإنجازيّة، بالرّغم ممّا يلاحظ عادة من تطابق بينهما، إضافة إلى أنّ القوّة الإنجازيّة الواحدة قد يعبّر عنها بأنماط حملية متباينة(٢).

وقد تحمل العبارة اللغوية الواحدة، إضافة إلى قوّتها الإنجازيّة الحرفيّة أكثر من قوّة إنجازيّة مستلزمة واحدة(٣)، ومن ذلك جملة: أما يتيسّر لك الذهاب؟ تحمل بالإضافة إلى السّؤال معنى الاستبطاء والتحضيض.

وهكذا يظهر التوجّه الوظيفي اهتماماً بالمعنى دون إغفال للمبنى، فهو ينظر إلى البعد التداولي على أنّه عماد اللّغة إلاّ أنّ من الإشكالات التي يواجهها هذا التوجّه:

١- يعد ضبط المعايير اللاّزمة لإنجاز الكلام في مقام معيّن عسيراً نظراً لكثرة المعطيات التي على المرء أنْ يلم بها في مقام معيّن.

٢- لا تقوم الوظيفة الدلاليّة بأي دور في تحديد الحالة الإعرابية عند وجودها إلى وظيفة تركيبيّة، مع أنّ الدلالة تسهم إلى حد كبير في تحديد الحالة الإعرابيّة.

---

(1) أحمد المتوكل- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص٢٥.

(2) المرجع نفسه- ص٢٦.

(3) المرجع نفسه- ص٢٧.

نظرة في مشروع المتوكّل في النّحو الوظيفي:

تأتي أهميّة النّموذج الّذي قدّمه أحمد المتوكّل في أنّه النّموذج الموسّع السّاعي إلى وصف اللّغة العربيّة تداوليّاً، مع مراعاة أبرز ما طرأ في نموذج النّحو الوظيفي من تطوّرات عبر الانتقال من نحو بسيط إلى نموذج متعدد القوالب يطمح إلى وصف مختلف الملكات التي تشكّل قدرة المتكلّم التواصليّة، وتقليص البنيتين الحمليّة والوظيفيّة إلى بنيّة تحتيّة واحدة، وصياغة هذه البنية التحتيّة على أساس احتوائها مستويات متعدّدة للتمثيل.

وتتعاظم أهمية هذا المشروع في ضوء المكانة المرموقة للدراسات الوظيفيّة على مختلف مدارسها وتفرّعاتها، التي تستند إلى الطبيعة الاجتماعية للّغة ودورها في عمليّة التواصل.

لقد استطاع المتوكّل في دراساته الوظيفية التداولية بلورة مشروع طموح يفضي إلى إعادة وصف اللّغة العربيّة وقراءتها، فقد قدّم فَهْماً جديداً للتراث اللّغوي دون تكلّف وادّعاء أو تحريف أو تشويه، فرصد الخصائص التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة للظواهر اللّغويّة المختلفة، فدرس الاستفهام والعطَف والفاعل والمفعول وغيرها من القضايا وفق المبدأ الوظيفيّ العام تلازم البنية والوظيفة وتحديد الوظيفة للبنية.

ويؤسس المتوكّل للقضايا اللغويّة ويتتبع جذورها في الفكر اللغويّ العربيّ، عند النحاة والبلاغيين، بما يوحي أنّه يصدر عن نهج متّبع وخطة مرسومة.

تصدّى المتوكّل للإسهام في بناء نحو يتعدّى مجال الجملة إلى مجال أرحب وهو مجال الخطاب، بوصف الجملة معطىً مجرّداً معزولاً عن السياق وعن المقام، فنظريّة

النحو الوظيفي نظرية خطاب لأنها استهدفت موضوعاً للوصف والتفسير ظواهر اللغـــات الطبيعيّة، لا بوصف هذه اللّغات أنساقاً صوريّة مجرّدة، بل بوصفها أنساقاً تُستخدم وسائل للتواصل اللغوي داخل المجتمعات.

لقد سعى المتوكّل أن يسبغ على مشروعه جانباً نفعيّاً، فقدّم رؤية لعملية اكتـــساب الطفل للّغة من منظور وظيفيّ، إضافة إلى أنّه وظّف نظريّة النحو الوظيفي فـــي خدمـــة الترجمة، إذ تُعَدُّ الترجمة عملية نقل للبنية التحتية للعبارة المصدر إلـــى البنيـــة التحتيّـــة للعبارة الهدف، ويشير المتوكّل إلى بعض الجهود التي استندت إلى نظرية النحو الوظيفي في مجال حوسبة اللغة.

ولقد أبرز المتوكّل ما لنظرية النّحو الوظيفي من مزايا في مجال تعليم اللّغة، عن طريـــق ربط اللّغة بوظيفتها وبالبيئة الاجتماعيّة.

لقد انطلق المتوكّل في نموذجه الوظيفي من الغرض الأساس الذي تؤديه اللّغة وهو التواصل، إلاّ أنّ اللّغة تؤدّي وظائف أخرى مختلفة بجانب وظيفة التواصل، لم تراعَ فـــي نموذج مستعمل اللغة الطبيعيّة؛ إضافة إلى أنّ التواصل عبر اللغة يشكل وسيلة من وسائل التواصل، فهناك الإشارات والإيماءات وغيرها، ممّا يؤكّد الحاجة إلى نظريـــة تواصـــلية عامّة تشمل الأنساق اللغويّة وغير اللغويّة. ويرى البحث أنّ ثمة نقاط التقاط كبيرة بين ما صدر عنه نحاة العربية وبين نظرية النحو الوظيفي في معالجتها للتراكيب النحويّة، إضافة إلى بعض الفروق، ومن أمثلة ذلك:

المبتدأ والخبر:

يمثّل المبتدأ والخبر ركني الإسناد في الجملة الاسميّة "فلا يستغني واحد منهما عن صاحبه"[١]. وقد أكّد النحاة التعالق الحاصل بين المبتدأ والخبر، فسيبويه يحدد المبتدأ أنّه " كل اسم ابتدئ به ليبنى عليه كلام. والمبتدأ عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلاّ عليه. فالمبتدأ الأوّل والمبنيّ ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه[٢].

ويفهم من تحديد سيبويه للمبتدأ أنّه يحدد مجال الحديث؛ إذ جُعِلَ ليبنى عليه الكلام، وهو ما يؤكّده ابن السرّاج حينما فرّق بين المبتدأ والفاعل ويضرب على ذلك مثلاً ليقول: " ألا ترى أنّك إذا قلت: زيد منطلقٌ فإنّما بدأ " بزيد" وهو الذي حدّثت عنه بعده، وإذا قلت: ينطلق زيد، فقد بُدئ بالحديث وهو انطلاقه، ثُمّ ذكرت زيداً المحدّث عنه بالانطلاق بعد أنْ ذكرت الحديث. فالفاعل مضارع للمبتدأ من أجل أنهما جميعاً محدث[٣].ولَعلّ ذلك يتفق مع ما ذهبت إليه نظرية النّحو الوظيفي التي ترى أنّ المبتدأ وظيفة خارجيّة " تحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه وارداً"[٤].

وبيّن النّحاة أنّ الأصل في المبتدأ أنْ يكون معرفة، لا نكرة، لأنّ النكرة مجهولة غالباً، والحكم على المجهول لا يفيد"[٥]، وهم بذلك يحيلون على الوظيفة التي يؤدّيها المبتدأ، ولا يعتمدون المعيار الشكلاني المحض وإن أشاروا إليه، ومنه أن المبرّد قال في

---

(1) ابن السرّاج- الأصول في النحو، ج١، ص٥٨.
(2) الكتاب – ج٢، ص١٢٦.
(3) الأصول في النحو، ج١، ص٥٨.
(4) أحمد المتوكل – الوظائف التداولية في اللغة العربيّة، ص١١٥.
(5) ابن هشام الأنصاري – شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ص١٦١.

مطلع باب المبتدأ " هذا باب المبتدأ وهو الذي يسمّيه النحويون الألف واللاّم"[١]، وبذلك يظهر لي وضوح الرؤيةعند نحاتنا القدماء التي جمعت بين المعايير الشكلانية والوظيفيّة، قال ابن السرّاج:" وإنّما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة لأنّه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلّم به، ألا ترى أنّك لو قلت: رجل قائم، أو رجل عالم، لم يكن في هذا الكلام فائدة[٢].

وقد أشار النّحاة إلى ارتباط المبتدأ و الخبر بالمقام " فإنّك إذا ابتدأت فإنّما قصدك تنبيه السامع بذكر الاسم الذي تحدّثه عنه ليتوقّع الخبر بعده"[٣].

أمّا الخبر فهو " الذي يستفيده السّامع ويصير به المبتدأ كلاما"[٤].

وقد يحذف المبتدأ أو الخبر لعلم المخاطب بما حذف، ففي حذف المبتدأ قال سيبويه: "وذلك أنّك رأيت صورة شخصٍ فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربّي، كأنّك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله. أو سمعت صوتاً فعرفت صاحبَ الصّوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيدٌ وربّي، أو مَسستَ جسداً أو شممت ريحاً فقلت: زيدٌ، أو المسك"[٥]، أو ذقت طعاماً فقلت: العَسَلُ. ولو حُدّثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته لقلت: عبد الله كأن رجلاً قال : مررت برجلٍ راحمٍ للمساكين بارٍّ بوالديه، فقلت: فلان والله"[٦].

---

(١) المقتضب- ج٣، ص٨٩.
(٢) الأصول- ج١، ص٥٩.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٥٩.
(٤) المصدر نفسه – ج١، ص٦٢.
(٥) ابن هشام الأنصاري – شرح قطر الندى وبل الصدى، ص١٦٣.
(٦) المصدر نفسه – ج١، ص٦٢.

إنّ هذه العناية بالمخاطب والسّامع تؤكّدها كذلك نظرية النّحو الوظيفي التي تقيم صرحها على طرفي عملية الاتصال المتكلم – السّامع، فالحذف مرتبط بالوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب أي بالقدر من المعرفة المشتركة الذي يتقاسمانه.

ويرى نحاة العربية ضرورة ارتباط الخبر إذا وقع جملة برابط من الروابط مع المبتدأ " مثل اضمير في (زيد أبوه قائم) واسم الإشارة (لباس التقوى ذلك خير) ... فإذا لم تكن الجملة نفس المبتدأ في المعنى : فإن كانت كذلك لم يحتج إلى رابط كقوله تعالى : " قل هو الله أحد" فجملة " الله أحد" مرتبطة بهو، لأنها نفسه في المعنى، لأنّ هو بمعنى الشأن"[1].

وقد قام المتوكّل في معالجته الوظيفيّة للنّحو العربي بالتمييز بين أنماط بنيوية أربعة: بنيات مبتدئية، وبنيات مذّيلة وبنيات بؤرية وبنيات محوريّة[2]، في حين عدّها نحاة العربية مشتملة على وظيفة " المبتدأ " ومن أمثلتها.

ويستند المتوكّل في إقامة هذا التمايز بين هذه الأنماط على أساس خصائصها الدلالية والتركيبية والتداولية.

وبالرّغم من وجاهة ما قدّمه المتوكّل إلاّ أنني أرى ضرورة الإبقاء على هذا التمايز لأنّه من ناحية يحقق ما تسعى إليه كل النظريات وهو تحقيق الكفاية النمطيّة، فإنّ هذا التنميط المتعدد يزيد من صعوبة النّحو، ثمّ إنّه لا يخدم استقرار المصطلح النّحوي،

---

(1) الكتاب- ج٢، ص١٢٨.
(2) أحمد المتوكل – الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص١٨٥.

وإنّ ما قدّمه المتوكّل لم يبتعد عن رؤية النحاة العربيّة الذين أرادوا أن يكفلوا للعربية وحدة في إطار التنوّع، فهناك مبتدأ جاء على الأصل وهناك مبتدأ مؤخر.

الفاعل:

ينظر نحاة العربيّة إلى الفاعل بوصفه مكوّناً تتمّ به مع الفعل الفائدة للمخاطب[١]، ولم يجوّزوا حذفه لكونه عمدة، وينصّ على ذلك المبرّد بقوله: " لا بد لكل فعل من فاعل .. فقد صار الفعل والفاعل بمنزلة شيء واحد، إذ لا يستغني كل واحد منهما عن صاحبه"[٢]. وذلك يتوافق مع نظرية النحو الوظيفي التي رأت أنّ وظيفة الفاعل تستند إلى " الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة الدال عليها محمول الجملة"[٣].

وقد ناقش النحاة المكوّنات التي تقوم مقام الفاعل، فإن كان هناك مفعول به لم يقم مقام الفاعل غيره، فإذا حذف الفاعل وجب رفع المفعول وإقامته مقام الفاعل، وذلك من قبل أنّ الفعل لا يخلو من فاعل حقيقة، فإذا حذف فاعله من اللفظ، استقبح أن يخلو من لفظ الفاعل، فلهذا وجب أن يقوم مقامه اسم آخر مرفوع"[٤].

وقد أجاز النحاة أن يقوم كل من حرف الجر أو الظرف أو المصدر مقام الفاعل، تقول:" سرت بزيد فرسخين يومين سيراً شديداً، فإن أقمت الباء وما عملت به مقام الفاعل، قلت: مِير بزيد فرسخين يومين سيراً شديداً، فالباء وما عملت فيه موضع رفع، فإن أقمت

---

(١) انظر ابن جني – اللمع في العربيّة، ص٣١.
(٢) المبرّد – المقتضب ، ج٤، ص٥٠٠.
(٣) أحمد المتوكل- الوظائف التداولية في اللغة العربيّة، ص١٨٠.
(٤) ابن يعيش – شرح المفصّل، ج٧، ص٧٠.

الفرسخين مقام الفاعل، قلت: سِير بزيد فرسخين يومان سيراً شديداً، فإن أقمت المصدر مقام الفاعل: سِير بزيد فرسخين يومين سيرٌ شديدٌ، ترفع الذي تقيمه مقام الفاعل لا غير"[١].

ولَعَلّ ذلك يتفق مع سلّمية إسناد الفاعل[٢] التي اقترحتها نظرية النّحو الوظيفي .

منفذ				حدث
قوة	مستقبل	< + >	متقبل	زمان
متموضع				مكان
حائل				

فا < + > < + >

ويرى المتوكل أنّ النحاة لم يفرّقوا بين وظيفة المبتدأ ووظيفة الفاعل، فهو يرى أنّ (زيداً) يحمل وظيفة الفاعل في جملة: زيد قامَ.

لقد بيّن نحاة العربية أن حكم الفاعل التأخر عن رافعه " فلا يجوز تقديمه على رافعه، فلا تقول " الزيدان قاما" على أن يكون " الزيدان فاعلاً مقدماً، بل على أن يكون مبتدأ، والفعل بعده رافع لضمير مستتر، وهذا مذهب البصريين [٣] وأما الكوفيّون فأجازوا التقديم"[٤] قال ابن جني وهو من البصريين: " واعلم أنّ الفعل لا بُدّ له من الفاعل. ولا يجوز تقديم

(1) ابن جني – اللمع في العربية، ص٣٥.
(2) أحمد المتوكل – دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٤٢.
(3) ابن عقيل – شرح ابن عقيل، ج١، ص٣٩٤.
(4) ابن جني – اللمع في العربية، ص٣١.

الفاعل على الفعل، فإن لم يكن مظهراً بعده، فهو مضمر فيه لا محالة، تقول: زيدٌ قام، فـ "زيدٌ" مرفوع بالابتداء، وفي " قام" ضمير " زيد" وهو مرفوع بفعله[١].

ولعل فيما قدّمه البصريّون نفاذ بصيرة فلا شك أن بين جملة (قام زيد) وجملة (زيد قام) فرق في المعنى، إذ تدل الأولى على حدوث القيام وتدل الثانية على الثبوت وعلى تأكيد إسناد القيام لزيد.

وقد أشار ابن هشام إلى الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، ومنها ما يترك بعض ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة، فيجوز الابتداء والفاعلية، أو الابتداء والمفعولية.

المفعول:

تستند وظيفة المفعول في النّحو الوظيفي إلى " الحد الذي يشكل المنظور الثاني للوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة الدال عليها محمول الجملة"[٢]، وقد نظر نحاة العربية كذلك إلى المفعول بوصفه فضلة في الكلام " فالعمدة ما لا يستغنى عنه كالفاعل، والفضلة: ما يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به"[٣].

---

(1) ابن عقيل – شرح ابن عقيل، ج١، ص٣٩٤.
(2) أحمد المتوكل – دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٤٦.
(3) اللمع في العربية ، ص٥٠ .

وينبّه المتوكّل إلى أنّ مفهوم المفعول لا يطابق مفهوم المفعول بـه فـي النّحـو العربي، فمفهوم المفعول يسند حسب شروط معيّنة إلى حدود حاملة لوظائف دلاليـة بمـا فيها الحدود التي يعدّها النحاة العرب مفعولاً مطلقاً، ومفعولاً فيه[١].

وعلى الرغم من عدم تطابق المفهومين في النّحو العربي والنّحو الـوظيفي إلاّ أنّ المفعول المطلق والمفعول فيه يدخلان تحت إطار التعدّي في النحو العربـي مثلـه مثـل المفعول به، قال صاحب الكتاب: " وأعلم أنّ الفعل الذي لا يتعدّى الفاعل يتعدّى إلى اسم الحَدَثان الذي أخذ منه، لأنّه إنّما يذكر ليدل على الحدث.... ويتعدّى إلى الزمان ... وإلى ما اشتق من لفظه اسماً للمكان"[٢].

ولا يقرّ المتوكّل بوجود أكثر من مفعول واحد في الجملة خلافاً للنحـو العربـي ويقترح في البنيات المتضمّنة أكثر من مفعول وحد وهي البنيات الدالةعلى " انتقال الملكية " والبنيات التصعيدية " و " البنيات التعليلية" أن يـستقطب وظيفـة المفعـول المكـون " المستقبل " في البنيات الأولى والمكون " الفاعل" في البنيات الثانية ، والمكون " المعلّل" في البنيات الثالثة[٣].

إنّ نحاة العربيّة يؤمنون بورود أكثر من مكون يحمل وظيفة المفعول في الجملـة إلاّ أنهم قسّموا الفعل المتعدّي إلى مفعولين فأحدهما يتعدى إلى مفعولين ولك أن تقتـصر

---

(1) أحمد المتوكل – الوظيفة المفعول، ص٧٤.
(2) سيبويه – الكتاب ن ج١، ص٣٥-٣٦.
(3) أحمد المتوكل – الوظيفة المفعول، ص٦٦.

على أحدهما دون الآخر. والآخر يتعدّى إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحدهما دون الآخر"[١].

ومن أمثلة القسم الأوّل قولك: أعطى عبد الله زيداً درهماً حيلها ولا بد أن يكون المفعول الأول فاعلاً فيه في المعنى بالمفعول الثاني" ومن أمثلة القسم الثاني: " أفعال تدخل على المبتدأ والخبر فتجعل الخبر يقيناً أو شكاً... ، ألا ترى أنك إذا قلت: ظننت عمراً منطلقاً، فإنما شك في انطلاق عمرو لا في عمرو" وكذلك إذا قلت علمت زيداً قائماً، فالمخاطب إنما استفاد قيام زيد لا زيداً لأنه يعرف زيداً كما تعرفه أنت، والمخاطبُ والمخاطِبُ في المفعول الأول سواء، وإنما الفائدة في المفعول الثاني كما كان في المبتدأ والخبر الفائدة في الخبر لا في المبتدأ"[٢].

وأرى أن سؤالاً مشروعاً للمتوكّل: كيف يبرر أخذ المفعول الثاني والثالث الحالة الإعرابية النّصب إذا سلّمنا بعدم ورود هذه الوظيفة؟

ويرى المتوكل أنّ المكوّن المفعول يأخذ حالته الإعرابية المجرّدة النصب بمقتضى وظيفته التركيبيّة (المفعول) أياً كانت وظيفته الدلالية ووظيفته التداوليّة، ويبدو هذا التصوّر موافقاً لما هو عليه الحال في النحو العربي، فمن المعروف أنّ الفاعل في اللغة العربية يأخذ حالة الرفع بوصفه فاعلاً ، وأن المفعول يأخذ حالة النصب بوصفه مفعولاً؛ بل إنّهم

---

(١) ابن السرّاج – الأصول في النحو ، ج١، ص١٧٧.
(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص١٨٠.

زادوا على ذلك رتبة فقالوا: " قد يرفع المفعول وينصب الفاعل عند أمن اللبس كقولهم :" خرق الثوبُ المسمارَ" ولا ينقاس ذلك، بل يقتصر فيه على السّماع"[١].

ويحتل المكون (المفعول) موقع الصدر حيث يكون حاملاً لوظيفة بؤرة مقابلة أومحور إذا كان اسم استفهام نحو:

١- فاطمة أعطى خالدٌ القميص.

٢- الكتابُ اشتراه خالد.

٣- من أعطى خالداً القميص؟

وهو ما يتوافق مع النحو العربي الذي يرى أنّ " المفعول إذا كان الفعل متصرّفاً، فيجوز تقديمه وتأخيره، تقول: ضربت زيداً، وزيداً ضربت" .

إن هذه التحليلات تقود إلى القول إن نظرية النحو الوظيفي تلتقي في كثير من جوانبها مع نظرية النحو العربي، بما يمكن من عقد حوار بين النظريتين، وإلى استثمار معطيات الدرس اللساني في الفكر اللغوي العربي.

---

(١) ابن عقيل – شرح ابن عقيل، ج١، ص٤١٧.

الخاتمة

لَعَلّ من أهم النتائج التي يمكن الخلوص إليها في نهاية المطاف:

- أنّ الدّعوة إلى استقلال علم اللّغة وشكلانيته أثبتت عجزها عن فهم طبيعة اللغة فهماً صحيحاً.
- لقد صدر النحاة العرب عن نظرية منهجيّة في دراسة التركيب وفي تناول الأبعاد الداخلية والخارجية.
- الانفتاح الواعي على المناهج اللّغوية المعاصرة ، يغني البحث اللغوي العربي، يؤكّد أصالة منطلقاته، ونفاذ بصيرته.
- الدعوة إلى صياغة نظرية وظيفية عامة تشمل جميع أنماط الاتصال اللغوية وغير اللغوية وأنساقها في إطار موحّد.
- تقوم اللغة بمجموعة من الوظائف بما يتفق مع الطبيعة الاجتماعية للغة أهمها وظيفة الاتصال بما يغري بتجاوز دراسة التركيب لدراسة الخطاب بوصفه وحدة الاتصال الكبرى.
- يعد المعنى ركيزة أساسية في فهم التركيب وتحليله.
- ضرورة استثمار المعطيات الوظيفية في تيسير النحو في المدارس والجامعات.
- تعد النظرة الثاوية خلف مختلف العلوم اللغوية (النحو، البلاغة...) نظرية تداولية.

- استثمار الوظيفية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- نمذجة اللغة العربية للحاسوب بالربط بين الشكل والوظيفة، ولا سيما أن الحوسبة تعتمد اعتماداً كبيراً على النحو المعجمي الوظيفي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)- المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)- تهذيب اللّغة، تحقيق عبد السّلام هارون، راجعه محمد علي النّجار، دار القومية للطباعة، ١٩٦٤م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)- البيان والتبيين، ط ٢، تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، والمثنى (بغداد)، ١٩٦٠م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٤هـ)- أسرار البلاغة، ط١، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجّدة، ١٩٩١م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٤هـ)- دلائل الإعجاز، ط ٣، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجّدة، ١٩٩٢م.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)- الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الكتب المصرّية، ١٩٥٦م.

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)- المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النّجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٦م.
- الرّضي الاستراباذي ، محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)- شرح كافية ابن الحاجب، عمل يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٧٣م.
- الزجّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٧هـ)- الإيضاح في علل النّحو، ط ٣، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، ١٩٧٩م.
- الزركشي، بدر الدّين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)- البرهان في علوم القرآن، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- السبكي، بهاء الدين (ت ٧٧٣هـ)- عروس الأفراح، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- ابن السّراج، أبو بكر محمد السّري، (٣١٦هـ)- الأصول في النّحو، ط١، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- السكّاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦هـ)- مفتاح العلوم،ط١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)- الكتاب، ط ٣، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٣م.
- السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن، (ت ٩١١هـ)- الاقتراح في علم أصول النّحو، ط١، تحقيق محمد حسن الشافعي، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م.

- الصبّان، الشيخ محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ)- حاشية الصبّان على شرح الأشموني، ط١، تحقيق ابراهيم شمس الدّين، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن عقيل، بهاء الدّين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)- شرح ابن عقيل، ط٢، تحقيق محمد محيي الّدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان.
- العلوي، السيد الإمام يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ)- كتاب الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز، ط ١، مراجعة محمد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٥م.
- الغزالي، أبو حامد محمد (ت ٥٠٥هـ)- المستصفى من علم الأصول، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٢٢هـ.
- الفاكهي، عبد الله بن أحمد (ت ٩٧٢هـ)- شرح كتاب الحدود في النّحو، تحقيق المتولّي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، السّعوديّة، ١٩٩٣م.
- الفرّاء، أبو زكريّا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)- معاني القرآن، تحقيق محمد علي النّجار، الدّار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ت).
- القرشيّ، ابن شيت القرشيّ (ت ٦٢٥هـ)- معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ط١، تحقيق محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ١٩٨٨.

- القزويني، جلال الدّين أبو عبد الله محمد بن سعد الدّين (ت ٧٣٩هـ)- الإيضاح في علوم البلاغة مراجعة محمد السعدي فرهود، شرح وتعليق محمد خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٩٩م.
- المبّرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)- المقتضب، ط٢، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)- لسان العرب، دار صادر، بيروت ، ٢٠٠٠م.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)- شرح المفَصّل، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٠م.

ثانياً: المراجع العربية:

- إبراهيم مصطفى- إحياء النّحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.
- أحمد قدّور- مبادئ اللّسانيات، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
- أحمد المتوكّل- آفاق جديدة في نظرية النّحو الوظيفي، ط ١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الخامس، الرّباط، ١٩٩٣م.
- أحمد المتوكّل- دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.

- أحمد المتوكّل- قضايا اللغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة، البنية التحتيّة أوْ التمثيل الدلالي التداولي، ط١، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٩٥م.
- أحمد المتوكّل- قضايا اللغة العربيّة، في اللّسانيات الوظيفيّة، بنية الخطاب من الجملة إلى النّص، ط١، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرّباط، ١٩٩٨م.
- أحمد المتوكّل- قضايا اللغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة، بنية المكوّنات أوْ التمثيل الصرفي- التركيبي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٩٥م.
- أحمد المتوكّل- من البنية الحمليّة إلى البنية المكوّنيّة، الوظيفة المفعول في اللغة العربيّة، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- أحمد المتوكّل- الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- أحمد المتوكّل- الوظيفة والبنية: مقاربات وظيفيّة لبعض قضايا التركيب في اللّغة العربيّة، منشورات عكاظ، المغرب، ١٩٩٠م.
- أحمد المتوكل- الوظيفيّة بيْن الكليّة والنمطيّة، ط ١، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠٣م.
- أحمد مطلوب- البلاغة عند السكاكي، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤م.
- أندريه مارتينيه- مبادئ اللّسانيات العامّة، ترجمة أحمد الحمو، ط١، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٥م.
- تمّام حسّان- اللغة بيْن المعياريّة والوصفيّة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر ١٩٥٨م.

- تمّام حسّان- اللغة العربيّة معناها ومبناها، ط ١، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- تيسرنيس موور وكريستين كارلنغ- فهم اللّغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة شومسكي، ترجمة حامد الحجاج، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨م.
- جورج مونان - علم اللّغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، ط١، وزارة التعليم العالي، دمشق، (د.ت).
- جوناثان كلر- فرديناند دي سوسير، أصول اللّسانيّات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة عز الدين إسماعيل، ط١، المكتّبة الأكاديميّة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- جون ليونز- نظرية تشومسكي اللغويّة، ترجمة حلمي خليل، ط ١، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٨٥.
- جيفري سامبسون- المدارس اللغويّة، التطوّر والصّراع، ترجمة أحمد الكراعين، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (د.ت).
- حلمي خليل- العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغويّ العربيّ الحديث، ط١، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٨٦م.
- حنون مبارك- مدخل للسانيّات سوسير، ط١، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٧م.
- خليل عمايرة- في نحو اللّغة وتراكيبها- منهج وتطبيق، ط١، عالم المعرفة، جدّة ١٩٨٤.

- داود عبده- أبحاث في اللّغة العربيّة، ط١، مكتبة رياض الصلح، بيروت، ١٩٧٣م.
- ر.هـ روبنز- موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، ط ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.
- شوقي ضيف- المدارس النّحويّة، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.
- صالح الكشو- مدخل في اللّسانيات، ط ١، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٩م.
- عبد الحكيم راضي- نظرية اللّغة في النقد العربي، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م.
- عبد الحميد السّيّد- دراسات في اللّسانيات العربية، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.
- عبد السّلام المسّدي- التفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ط١، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا، ١٩٨١م.
- عبد السّلام المسّدّي- اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ط١، الدار التونسيّة للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).
- عبد العزيز عتيق- علم المعاني، ط١، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
- عبد القادر الفاسي الفهري- اللّسانيات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبيّة ودلاليّة، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٣م.

- عبده الراجحي- النّحو العربي والدّرس الحديث، ط١، دار المعرفة الجامعية الإسكندريّة، ١٩٨٨م.

- عز الدين مجدوب- المنوال النّحوي العربي قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، وكلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، سوسة، ١٩٩٨م.

- فوزي الشايب- محاضرات في اللّسانيّات، ط١، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٩م.

- مازن الوعر- قضايا أساسيّة في علم اللّسانيات الحديث، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ١٩٨٨م.

- مازن الوعر- نحو نظرية لسانية عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللّغة العربيّة، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

- مازن المبارك- النّحو العربي، العلة النّحوية: نشأتها وتطوّرها، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤م.

- محمد خير الحلواني- المفصّل في تاريخ النّحو العربي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.

- محمد عابد الجابري- بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربيّة، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ١٩٩٢م.

- محمد عبد المطلب- البلاغة العربية قراءة أخرى، ط١، الشركة المصرية العالميّة للنشر، ١٩٩٧م.

- محمود السّعران- علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربي، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ت).

- محمود نخلة- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ط١، دار النهضة العربية، بيـــروت، ١٩٨٥م.
- مصطفى حميدة- نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، مكتبـــة لبنـــان، بيروت، ١٩٩٧م.
- المنصف عاشور- نظريّة العامل ودراسة التركيب، ضمن صناعة المعنـــى وتأويـــل النّص (أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربيّة من ٢٤ إلى ٢٧ أبريـــل ١٩٩١م، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، ١٩٩٢م).
- مهدي المخزومي- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلميّ الحديث، ط١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ميلكا افيتش- اتجاهات البحث اللّساني، ترجمة سعد مـــصلوح ووفـــاء كامـــل، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، (د.ت).
- نايف خرما- أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، ط١، سلسلة عالم المعرفـــة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
- نعوم تشومسكي- البنى النّحويّة، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافيـــة العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- نعوم تشومسكي- تأمّلات في اللّغة، ترجمة مرتضى باقر وعبد الجبار علي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ١٩٨٦م.

- عثمان بن طالب، البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، عدد ٦، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٨٦م، ص٩٠-١٢٣.
- محمد محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللّسانية الحديثة، مجلّة عالم الفكر، مجلد ٣٠، عدد ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٣م، ص٨٣-١٠٩.
- المنصف عاشور، نظرية العامل ودراسة التركيب: ضمن صناعة المعنى وتأويل النص (أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية من ٢٤-٢٧ إبريل ١٩٩١م)، منشورات كلية الآداب بمنونة، سلسلة اللّسانيات، الجامعة التونسية، ١٩٩١م، ص٣٣-٦٩.
- نهاد الموسى، الأعراف، أو نحو اللّسانيات الاجتماعيّة في العربيّة، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللّسانيات، سلسلة اللّسانيات، عدد ٦، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسيّة تونس، ١٩٨٥،ص٢٠-٤٧.
- نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج كتاب سيبويه في كتابه، مجلّة حضارة الإسلام، عدد ١، دمشق،١٩٧٤م، ص٦٤-٨٩.
- يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلّة عالم الفكر، مجلد ٢، عدد٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩م، ص١٢٤-١٥٣.

- عثمان بن طالب، البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، عدد ٦، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٨٦م، ص٩٠-١٢٣.
- محمد محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللّسانية الحديثة، مجلّة عالم الفكر، مجلد ٢٠، عدد ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٣م، ص٨٣-١٠٩.
- المنصف عاشور، نظرية العامل ودراسة التركيب: ضمن صناعة المعنى وتأويل النص (أعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية من ٢٤-٢٧ إبريل ١٩٩١م)، منشورات كلية الآداب بمنونة، سلسلة اللّسانيات، الجامعة التونسية، ١٩٩١م، ص٣٣-٦٩.
- نهاد الموسى، الأعراف، أو نحو اللّسانيات الاجتماعيّة في العربيّة، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللّسانيات، سلسلة اللّسانيات، عدد ٦، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسيّة تونس، ١٩٨٥،ص٢٠-٤٧.
- نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج كتاب سيبويه في كتابه، مجلّة حضارة الإسلام، عدد ١، دمشق،١٩٧٤م، ص٦٤-٨٩.
- يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلّة عالم الفكر، مجلد ٢، عدد٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩م، ص١٢٤-١٥٣.

رابعاً: الرّسائل الجامعية:

- عطا موسى، مناهج الدّرس النّحوي في العالم العربي في القرن العشرين، رسالة دكتوارة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٩٢م.
- لطيفة النجار، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٩٥م.

Abstract

Syntactic Structures According to Formalism and Functionalism

By

Khalil G. Abu Afifeh

Supervisor

Dr. Essa O. Barhouma

Contemporary approaches in linguistics, no matter what different views they stress, have focused on structuralism. Although adherence of different approaches are separated by time and place, certain common grounds do exist. Arabic linguistic studies have also focused their attention on structure as an important issue to be dealt with.

Syntacticians have provided room for it in their objectives and goals. Semanticists also have pursued the same goal. Arabic studies have led to a linguistic theory which has had a considerable impact on Arabists and Koranic interpreters in their analysis of koranic texts. This research aims at the providing a syntactic study focusing on structural analysis including the function of these structures.

This research has also provided a revision of what syntacticians and semanticists have contributed in this respect . A section has been allocated to formal and functional aspects from a contemporary point of view. This research dealt with functionalism in modern Arabic studies. Ahmed Almutawakkil's approach has been adopted for application . In conclusion , the relationship between syntax and semantics has been highlighted.